الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: ....

اللغة الواصفة في نقد آمنة بلعلى من خلال كتاب "سيمياء الأنساق"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
* فاطمة مجدوب
*نبيلة بوخونة

إشراف الأستاذ:
د. وهيبة جراح

السنة الجامعية: 2023/2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى

"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

"صدق الله العظيم"

شكر وتقدير

نتوجه بالشكر الخاص

للأستاذة المشرفة وهيبة جراح لا تكفينا سطور في شكر شخص أعطى من عمله وجهده وتوجيهه لنا بالكثير والكثير.....

لا ننسى مساعدتها لنا بجملة من المصادر و المراجع القيمة

والتي لم تبخل علينا بالنصائح والتوجيهات

وعلى كل ما قدمته لنا من البداية

حفظك الله ورعاك أستاذتي الفاضلة.

إهداء

إلى رمز الحب والحنان الى رمز

الصبر و العطاء الدائم

إليك أمي العزيزة

إلى رمز الكرم والتضحية الى

من رعاني وتحدى الظروف لتعليمي

إليك أبي الغالي

إلى أغلى الناس على قلوبنا

من شاركونا أفراحنا وأحزاننا

إلى كل من شاركني دربي العلمي ومساري الجامعي

أهدي لكم هذا العمل

مقدمة

مقدمة:

لقد فرض التطور الحاصل الذي شهدته النظريات النقدية المعاصرة تغيرات جذرية ساعدت على الانتقال من النصوص الأدبية إلى قراءة في الأنساق النصية وعلاقتها بمستعمليها حيث لم يعد النص متمركزا على ذاته بما يحمله من صيغ وأنماط وتجليات وهو ما كان يشتغل في نطاقه أصحاب التحليل المحايث، بل إنه قد تم تجاوز تلك الإجراءات في الدراسة كونها أصبحت مكررة وعاجزة عن استيعاب التطور الحاصل كما أنها لم تعد تتماشى مع متطلبات القارئ العربي.

ثم إن السبب في هذا التحول كان راجعا إلى ظهور مجموعة من المناهج والاتجاهات النقدية والتي تبناها العديد من الدارسين من أمثال الناقدة آمنة بلعلى والتي توسلت في دراستها إلى البحث في المعارف التراثية العربية باعتبار أنها انساقا دالة، وبرؤية تشتغل بتوجيه من الفكر السيميائي بلغة واصفة بغية استقراء منظومة التراث العربي بشكل أشمل وأدق وذلك من خلال كتابها الموسوم "بسيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية".

يعد الاهتداء باللغة الواصفة والاعتماد عليها في المقاربات النقدية العربية الراهنة أمر من الصعب جدا الولوج إليه، إذ كانت الأطر التقليدية تحيط فكر النقاد العرب من كل جانب تقوض فكرهم وتمنعهم من الإتيان بجديد لتجعل ممارساتهم النقدية سطحية لم تصل حد العمق لكن بالمقابل من ذلك فقد كانت الناقدة آمنة بلعلى على قدر من التميز والتحكم في اللغة التي من شأنها أن تصف لغة أخرى، فقد كانت لغتها النقدية واصفة بامتياز بحثت من خلالها في مختلف أنساق المعرفة التراثية العربية وخطاباتها من منظور جديد كليا، لمقاربة مختلف النصوص ما فوق الأدبية على اختلافها وتفكيكها لتفتح بذلك آفاقا جديدة للبحث في مجال نقد النقد.

ولمّا كان التراث تلك الحزمة المعرفية التي يصعب فكُّ لغزها من الخارج، فكان لابد من العودة إلى لغة خاصة تختلف بدورها عن اللغة العادية، لغة تخترق لغة الموضوع، إلى لغة اصطناعيه تأول وتفكك مجمل الخطابات التي تمثل البنية العميقة من التراث، ومن تم تخرجها من الدائرة الضيقة التي وضعتها فيها الدراسات النقدية السابقة، بلغة نقدية قادرة على رفع الخطاب لرتبة الابداع، كما أن هذا الإبداع سيحتاج بدوره للغة تتحدث عنه، تكون من ناقد متمكن لغةً ونقداً وممارسةً.

في هذا الإطار جاء نقد آمنة بلعلى في بحثها عن تشكلات المعنى في الخطابات التراثية مثالا حيا للغة الواصفة، ومميزات اللغة النقدية عندها في تفكيك المنظومة التراثية، كما أن البحث في اللغة الواصفة من المقاربات القليلة في الخطاب النقدي العربي وخاصة التراثي لذلك يحاول موضوع دراستنا الموسوم ب" **اللغة الواصفة في نقد آمنة بلعلى من خلال كتاب سيمياء الأنساق**" من جهة تسليط الضوء على لغة الناقدة لثرائها ومرونتها وما تحمله من تفرد وتميز أسلوبي لافت للنظر خاصة أننا نتحدث عن ناقدة جزائرية قد لمع اسمها ضمن النقاد الجزائريين وذلك لما قدمته من مشاريع هامة في المجال النقدي خاصة ما تعلق منها بالمناهج المعاصرة ومن جهة أخرى كانت محاولة منًّا لتبيان قدرة الناقدة على استثمار آليات المناهج المعاصرة على مختلف الخطابات الواصفة التي اختارتها من نحو، وبلاغة، شعرية وأصول، ولهذا سنحاول تبيان مميزات لغتها النقدية من خلال كتاب "سيمياء الأنساق".

ثم إنّ أهمية هذه الدراسة تكمن في التعرف على لغة أهم أعلام النقد الجزائري، وهي ناقدة وأستاذة في مناهج تحليل الخطاب آمنة بلعلى، حيث تفيدنا دراستها في معرفة طريقة التطبيق بالمناهج المعاصرة وكيفية جمعها في مدونة واحدة والانتقال بين المعارف التراثية بتلك المناهج دون المساس بهوية الثقافة العربية، خاصة وأنَّ الناقدة قد اتخذت من المفاهيم الغربية واستطاعت استثمارها خدمة لإحياء تراثنا العربي، ولا نكتفي بهذا الحد في الحديث عن أهمية الدراسة فهي

كذلك ركزت على أهم المناهج المعاصرة وهو المنهج السيميائي، والذي تدور حلقة البحث عموما حوله ونحن نعلم جيدا مدى صعوبة التطبيق بالمنهج السيميائي كمنهج معاصر بمفاهيمه وآلياته الغربية على مدونات تراثية عربية، ومعرفة مدى نجاعته في الكشف عن تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، وأيضا الكشف عن الفكر السيميائي في الموروث التراثي العربي من نحو وبلاغة، ونقد، وأصول، والبحث كذلك عن أصول الفكرة وبذورها عند العرب، ومدى اهتمامهم بالعلامة والدلالة والتأويل ومتى تم وكيف تم، أي طريقة الاشتغال وأسس البحث السيميائي ومحاولة مقارنتها ومطابقتها بالمفاهيم الغربية لنكتشف جذور هذا المنهج في تراثنا العربي.

وتأسيسا على ما سبق ذكره أثارتنا مجموعة من التساؤلات والتي تصب في صميم دراستنا حول اللغة الواصفة في نقد آمنة بلعلى والبحث عن تشكلات المعنى في الخطابات التراثية من خلال كتاب "سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية" فإن الإشكالية الرئيسية التي يمكن طرحها هنا هي:

ما هي خصائص الكتابة النقدية لدى آمنة بلعلى؟ وكيف تجلت اللغة الواصفة إجرائيا ضمن كتابها سيمياء الأنساق؟ وهل يمكننا الحديث عن جهاز مفاهيمي واضح المعالم قد استندت هي إليه في ذلك؟.

وهل يمكن حقا الاعتماد على المناهج النقدية المعاصرة بأسسها الغربية لقراءة التراث العربي مع الحفاظ على أصالته؟.

لقد قادتنا أسباب ذاتية وأخرى موضوعية لاختيار هذا الموضوع، فمن الناحية الذاتية، كان شغفنا في البحث النقدي والمناهج المعاصرة مدعاة إلى ما يجب أن يكون دافعا حاسما للتوجه إلى هذا الموضوع، كذلك رغبة منا في التركيز على النقد النسوي وهذا لما نراه من هيمنة النسق الذكوري على مجمل الدراسات النقدية العربية، أما من الناحية الموضوعية فذلك كان راجعا إلى محاولة الابتعاد عن المواضيع الأدبية المطروقة واختيار موضوع أكثر حيوية بإمكانه أن

يترك أثرا ومنفعة كبيرين في مكتبات البحث العربية، وموضوع اللغة الواصفة هو موضوع صعب التطرق إليه كونه يقع ضمن خانة نقد النقد.

وقد كان الهدف الرئيسي من هذا البحث هو الكشف عن اللغة الواصفة في ثنايا كتاب الناقدة وخصائص نقدها أي القالب الذي تم من خلاله الكشف عن تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، وتبيان أن للتراث العربي خطابات ما فوق أدبية تستحق إعطاءها نفس الاهتمام الذي تحضى به النصوص الأدبية، كذلك كان الهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على مالم يقله التراث والمسكوت عنه من خلال رؤية نقدية معاصرة تكشف لنا سيمياء أنساق تلك المعارف النقدية التراثية وكيف كان الاشتغال عليها.

أما فيما يخص الدراسات السابقة التي تطرقت لدراسة اللغة الواصفة عند الناقدة آمنة فهي غير موجودة حسب علمنا، إذ نجد معظم الدراسات قد اشتغلت حول الشق الأول للغة الواصفة فنجد مذكرتين الأولى بعنوان اللغة الواصفة في مؤلفات عبد الملك مرتاض لعبير مزياني والثانية بعنوان اللغة الواصفة في نقد عبد الملك مرتاض لرشيدة غانم.

وقد اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع أهمها: "كتاب تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" لآمنة بلعلى، كما لا ننسى كتاب" مناهج النقد المعاصر" لصلاح فضل.

وقد كانت مقاربتنا وصفية تحليلية تعرفنا من خلالها على ظهور اللغة الواصفة وتطورها كمصطلح وامتداداتها، كما ساعدتنا هذه المقاربة في تتبع مختلف المعارف التراثية والمناهج النقدية المعاصرة التي استثمرتها الناقدة من جهة، ومن جهة أخرى قد مكنتنا هذه المقاربة أيضا من البحث في كيفية استثمار آمنة بلعلى للمنهج السيميائي بالخصوص دون غيره من المناهج في محاولة منها للكشف عنه وعن أصوله وامتداداته في مختلف مدونات المعرفة التراثية المدروسة في منجزها النقدي الذي بين أيدينا، لنتوصل إلى معرفة خصائص لغتها النقدية.

وعليه جاء بحثنا مكونا من مدخل ثم يليهما فصلين لكل فصل مبحثين وخاتمة وفقا للخطة التالية:

خصصنا **المدخل** الموسوم ب "اللغة الواصفة مفاهيم وتحديدات" للبحث عن المفاهيم المتعلقة باللغة الواصفة ونشأتها وجذورها التاريخية وذلك لنكون خلفية معرفية حول هذا القالب من النقد ويسهل علينا التطبيق.

ثم يليه **الفصل الأول** الموسوم ب" الخلفيات الابستيمولوجية للممارسة النقدية لدى آمنة بلعلى" مقسما إلى مبحثين، **المبحث الأول** بعنوان "المعرفة النقدية التراثية" وقد خصصناه لعرض الخلفية المعرفية بالقضايا التراثية للناقدة، تطرقنا فيه بالتفصيل لمعرفتها الدينية ثم التراثية النحو البلاغة، الشعرية، الأصول، وكيف استثمرت معرفتها بهم في تأليف هذا الكتاب أما المبحث الثاني بعنوان "المعرفة بالمناهج النقدية المعاصرة" أدرجنا فيه الخلفية المعرفية بالمناهج النقدية المعاصرة لآمنة بلعلى فانتقلنا خطوة بخطوة بين كل منها والتركيز بالضرورة على كيفية استغلالها لكل منهج في مدونتها النقدية.

وبعده الفصل الثاني بعنوان "التصور الحداثي للقضايا النقدية في الخطابات التراثية لدى آمنة بلعلى" والذي عمدنا في تقسيمه إلى مبحثين اثنين كذلك، الأول منهما كان بعنوان "التصور السيميائي للقضايا النقدية" كان للكشف عن التصور السيميائي للناقدة لمختلف القضايا النقدية العربية والبحث في الفكر السيميائي فيها من نحو، وبلاغة، وأصول، وشعرية، ثم انتقلنا في البحث الثاني إلى عرض الجهاز المفاهيمي الذي استندت عليه الناقدة منذ بداية مدونتها إلى نهايتها من علامة، تأويل، دلالة، نسق...، والذي كون منجزها النقدي.

وختمنا بحثنا هذا بخاتمة كانت بمثابة حصيلة عامة لكل ما سبق، ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في البحث هي أننا أمام موضوع كلما حاولنا حل إشكالية من إشكالياته حتى يفتح ذلك لنا المجال لعدة تساؤلات أخرى وهذا نظرا لتشعب الموضوع، كما أنَّ المدونة ثرية بالقضايا فإننا لا نستطيع الانتقال من قضية إلى أخرى دون الوقوف عند كل نقطة منها والتفصيل فيها.

مما لا يفوتنا ذكره أن نتوجه بخالص عبارات الشكر والعرفان للأستاذة المشرفة "وهيبة جراح" على إرشاداتها ونصائحها القيمة، إضافة إلى توفيرها لنا لجملة المصادر التي أفادتنا ويسرت علينا عملية البحث.

مدخل:

1_اللغة الواصفة: إشكالية المصطلح والمفهوم في الثقافة الغربية والعربية.

1_1 دراسة في المصطلح و إشكالية الترجمة.

1_2 جذور اللغة الواصفة في الساحة الغربية والعربية.

2_ وظيفة اللغة الواصفة.

تمهيد:

مع تطور آليات دراسة النصوص والخطابات الأدبية، اتجه النقاد المعاصرين إلى البحث عن لغة يستطيعون من خلالها الحديث عن اللغة ووصفها، أي ابتكار لغة تتحدث عن لغة أخرى فأصبحنا أمام نقد النقد أو اللغة الواصفة، وهي اللغة الاصطناعية التي من شأنها استنطاق النصوص، والبحث في طبيعة أنساقها، فاتجه النقاد بين من اتخذ منها غاية في حد ذاتها للبحث في طبيعتها وكيفية ظهورها والغرض منها، وهناك من اتجه نحو مقاربة النصوص وتفكيكها بالاتكاء على هذه الآلية، لتصبح بذلك وسيلة لدراسة النصوص الأدبية ومختلف الخطابات.

وانطلاقا من هذا الطرح نتساءل: ما المقصود باللغة الواصفة ؟

وماهي الخلفية التاريخية لظهور للغة الواصفة وجذورها عند الغرب والعرب ؟

وماهي الوظيفة التي تؤديها ؟

1_اللغة الواصفة: إشكالية المصطلح والمفهوم في الثقافة الغربية والعربية

1_1 دراسة في المصطلح و إشكالية الترجمة

إن اللغة ملكة إنسانية تحيا بالتواصل كما تحيا في ذهن الإنسان، لأنها الآلة العقلية المحركة له، وهي هوية المجتمع ومظهره الأول فهي ثقافة أمة ترقى بها وتزول بها، ففي ظل التطورات الزمنية وتماشيا مع العصر أصبحت اللغة أقوى سلاح يروضها الإنسان لتتماشى مع ما يريد فتنشئ الخطابات التي تكون فيها اللغة آلة فتاكة بما يريد مستخدمها، إذا فإن اللغة هي هوية المجتمع وصورته وما ترقى الأمه إلا بلغتها التي تعبر عن احتياجاتها وتغير فيه فيما لابد أن يكون.

في حديثنا عن اللغة الواصفة سوف يتبادر إلى أذهاننا ما المقصود بالواصفة(Méta)، قد اختلفت الترجمات حول المصطلح ليبدو غموضه في البداية وارتباطه بالعديد من المصطلحات كذلك ما تحدثه الترجمة من خلط ما أدى بنا الى توضيح الفكرة فتوضح حسينة فلاح في هذا الصدد بقولها:" استنادا على المصطلحيين اللسانيين(Méta-récit) و(Méta-Littérature) اللذين طرحهما "جيرار جينيت" وعلى مصطلح(Méta- langage) المستعمل عند "رومان يكبسون" لدى حديثه عن وظائف اللغة، وعند "بارت" لدى حديثه عن وظائف النقد، تولدت مصطلحات أخرى من قبيل (Méta-linguistique)، (Méta-critique)،(Méta- discours)، (Méta-roman)...الخ" [1]، من هذا المنطلق تشير الباحثة إلى انتقال المصطلح "اللغة الواصفة" الشائعة أوساط الباحثين الغربيين حيث لاحظنا اختلافها وتعددها حسب تعدد معانيها عند كل باحث وتوظيفه لها، فمنهم من اعتبرها نفسها لغة النقد منهم من اعتبرها لغة اللسانيات ولغة اللغة، وكل ذلك حث بفعل انتقال التسمية رغم أن المعنى واحد.

---

[1] حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد– فوضى الحواس– عابر سرير)، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2012م، ص16.

ويوضح يوسف وغليسي في هذا الصدد مدى اختلاف الترجمة العربية وما نتج عنه من دلالات مختلفة فيقول:" تعود إلى السابقة الإغريقية (Méta) التي تتصدر هذا المصطلح في اختلاف ترجماته العربية، واضطرابه بين (اللغة الواصفة، ما وراء اللغة، ما بعد اللغة، ما فوق اللغة، الميتا لغة، اللغة الانعكاسية، اللغة الماورائية، اللغة الشارحة، تعقيد اللغة، لغة عن لغة اللغة الجامعة...)"[1]، وفي هذا التعريف يتضح أن الواصفة هي مصطلح يتعدد في ترجماته إلى العربية بين ما وراء، و ما بعد، وما فوق، أو الشارحة..... الخ، هذا ما عدده يوسف وغليسي حينما أكد أن المصطلح يعود إلى السابقة الإغريقية ميثا وفي مدلول أو معنى الكلمة يشير أيضا في قوله أنها: "التي تدل على معاني:" الإسهام والمشاركة(Participation) والتوالي أو التتابع والتعاقب (Succession)، والتغيير أو التحول (Changement)"[2]، في ما معناه أنَّ الواصفة في تعدد تسمياتها تتخذ معنى التتابعية والتعاقبية كما تشير إلى التحول والتغيير.

وعند حديثنا عن إشكالية المصطلح فذلك مما لاحظناه حول الترجمة العديدة لمصطلح غربي واحد، كون أيضا اللغة العربية بخاصيتها التي قد يحمل المصطلح الواحد منها عدة دلالات، ونجد **علي بن ابراهم النملة** في كتابه "إشكالية المصطلح" يؤكد قولنا بأنَّ:" على أنه من المهم التوكيد على قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات، بما في ذلك قبول دخول مصطلحات وكلمات ((أجنبية)) الى اللغة العربية بخلاف من يريد أن ينتصر للغة العربية فيسعى إلى نبذ فكرة استعارتها ألفاظا ومصطلحا ((أجنبية))"[3]، وهذه حقيقة لا مفر منها لأن أغلب الباحثين في ظاهرة ما حتى لو أنَّ مركزها الدراسات الغربية وأنَّ المصطلح الغربي كاف لإعطاء مفهوم متوازن لها إلا أنهم يبتكرون مصطلحات أخرى كأنها خصيصة اللغة العربية لتشير إلى المعنى نفسه من خلال

---

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008م ص495.

[2] المرجع نفسه، ص 495.

[3] ينظر علي إبراهيم النملة: إشكالية المصطلح في الفكر العربي، الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2010م، ص 25.

المدلول المعطى، فلو قارنا بين التعريفين لمصطلح اللغة الواصفة عند باحث غربي ومصطلح مثلا ما وراء اللغة عند باحث عربي سنجد أن المعنى واحد، إذا فإن التعصب أيضا للغة العربية يحدث ضجة في تراكم المصطلحات ومن تم تكون بدايات لإشكالية المصطلح أو مشكلة الترجمة.

فمعنى(Méta) في القواعد الغربية هو الواصفة ووجدنا أيضا أحمد يوسف قد اتخذ هذه الترجمة وقد وجدنا اختلافه عند جابر عصفور بما وراء اللغة وزكي نجيب محمود باللغة الشارحة مثلا وهكذا بقي المصطلح بين الترجمة والتعريب عند الباحثين العرب وتبقى الواصفة المصطلح المفضل والمرادف لمعنى اللغة الواصفة(Méta- langage).

2-1 جذور اللغة الواصفة في الساحة الغربية والعربية

لقد أشرنا سابقا الى المصطلح (Métalangage) كيف تمت ترجمته وتعريبه أما الآن سوف نحاول الإحاطة بجذور ظهور المصطلح في الساحة الغربية والعربية كذلك وفي نفس الوقت نعرج على مختلف المفاهيم التي رافقته من قبل الباحثين الغرب والعرب.

كما تعددت التسميات نجد أيضا اضطرابا في تموقع المصطلح وذلك حسب جهود الباحثين وعدم ثبوتهم عند رأي واحد لظهوره فنجد هنا يوسف أحمد يحدد ظهور المصطلح انطلاقا من بحوث المناطقة لاسيما حلقة فيينا حيث يقول: "لقد ظهرت أول مرة مع تارسكي باللغة البولونية (1931) وموريس في كتابا أسس نظرية العلامات (1938)، ورد كارناب في المعنى والضرورة عام (1943)، ورد يامسليف في مقدمة في نظرية للغة عام 1943، ولم يكتب لها النجاح في الظهور بالفرنسية إلا عام 1960 "[1]، حدد لنا الكاتب المسار الزمني للبدايات الأولى في استخدام المصطلح، ويعود الفضل إلى تارسكي (B. Tarski)، فإننا لا نستطيع إنكار ذلك حتى مع تطور الدراسات والبحوث وانفتاح الدلالات وتعدد مجالات الدراسة واختلاف التسميات للمصطلح فقد نجد

---

[1] جوزيف ري ديبوف نقلا عن، أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، مقاربة سميائية في فلسفة العلامة، الدار العربية للعلوم، بيروت ط1، 2005م، ص165.

آراء تخالف هذا الرأي لكن مجملها تقر بهذا التحديد، وممن يساند هذا الرأي جابر عصفور حيث يقول:" يعود ظهور مصطلح اللغة الواصفة إلى رودولف كارناب (1891–1970) حين حاول التمييز بين لغة الموضوع (Langue objet) ولغة الشرح(Méta langue) لأنه يرى بأن أي لغة ما يستدعي بحثا ثانيا للوقوف عند النتائج التي توصل إليها الأول وبالتالي يقتضي الأمر لغة ثانية تكون لغة شارحة "[1]، ومعناه أنَّ رودولف كارناب (R. Carnap) في بحثه حول ظاهرة اللغة وجد أنها تشتمل على مستويين هما لغة عادية ولغة شارحة، تقوم فيه هذه الأخيرة الشارحة بمعنى الواصفة بشرح الأولى العادية، لأنها لغة الموضوع أيضا تحتاج إلى لغة تصفها لذلك ربما سميت أيضا بلغة اللغة.

ومنه لقد كان للمناطقة دور في إرساء مفهوما للغة الواصفة منذ العصور القديمة والوسطى، وإذا عدنا إلى القول والمثال سنجد إشارة إلى لغة الموضوع ولغة الشرح في محاولة للتمييز بينهما باعتبار أن لغة الموضوع هي اللغة العادية واللغة الواصفة لغة ما فوق عادية وإن تحدثنا عن هذا المصطلح "لغة الموضوع" سنعرفها مثل ما جاء في معجم المصطلحات هي:" لغة تتخذ كموضوع للدراسة"[2]، أي أنها هي بذاتها موضوع الدراسة.

وكي تتضح لنا الصورة أكثر حول علاقة اللغة الواصفة بلغة الموضوع نستدل بالقول التالي: " تشكل اللغة الموضوع langage- objet موضوعا وصفيا للغة الواصفة، فهي التي تشتغل عليها اللغة الواصفة، وتكون لغة طبيعية، وقد تكون لغة اصطناعية (لغة الرياضيات التي تشتمل على رموز)"[3]، فتصبح بهذا اللغة الموضوع مجال بحث اللغة الواصفة لأنها موضوع وصفي لها ومنطقيا تكون اللغة الواصفة لغة اصطناعية والرياضيات الواصفة مثلا والتي تكون فيها اللغة ذات تصور منطقي بنظره فهي تشتمل على رموز مميزة لها.

---

[1] جابر عصفور: نظريات معاصرة، دار الهدى، بيروت، 1998م، ط1، ص272.

[2] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان، ط1، 1985م، ص198.

[3] حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، ص19.

ورغم جهود كارناب وتأسيسه لمفهوم خاص بها إلا أنه لا يمكن انكار جهود الباحثين الهنود حولها ف: "اللغة الواصفة توارد ذكرها كذلك في تقاليد البحوث القديمة لدى المدرسة الهندية وبخاصة لدى نبيها الأول بانيني Panini الذي ميز بين اللغة التقديرية واللغة الواصفة وشارحة باتانجالي Patnjli، بالإضافة إلى بارتيريهاري الذي قال بوجود وحدة لسانية تتصف بالتجريد"[1]. هذا من ناحية أن هذا العلم متجدر في نشأته وتم التأصيل له من منظور مختلف المدارس الغربية فنجد اللسانيين والمناطقة واللغويين والفلاسفة وليس مجرد نظرة عابرة فقط وفي هذا السياق سنشير أيضا إلى التراث اللاتيني وفيه لا يمكن أن ننكر صاحب النظرية التحليلية أوغستين(Augustin) الذي من خلالها ميز الباحث بين العلامات العادية والعلامات الواصفة يقول: "ذلك أن الكلمات العادية تحيل حسب تصوره إلى الملفوظات المستخدمة في الكلام العادي، بينما العلامات الواصفة تحيل إلى سلسلة من الملفوظات المستخدمة للكلام عن اللغة"[2].

ويشهد تأثر **رومان جاكبسون (R. Jakobson)** صاحب النظرية البنيوية بما جاء به كارناب فيما يخص اللغة الشارحة الواصفة حين جعلها هي نفسها وظيفة من وظائف اللغة يؤكد ذلك قول جابر عصفور:" ونقل ياكبسون من كرناب في هذه الدراسة ضرورة التمييز بين اللغة الموضوع واللغة الشارحة مؤكدا قوله إننا نحتاج إلى لغة شارحة كي نتحدث عن أي لغة موضوع... ولم يقتصر هذا الإسهام على علم اللغة البنيوي وحده حيث نظر ياكبسون الى اللغة الشارحة بوصفها وظيفة من وظائف الحدث الكلامي "تشير الى اللغة نفسها"[3]، هنا يشير جاكسبون أنه من الضروري الفصل بين المفهومين للغة الشارحة ولموضوع فكل ودوره فاللغة الشارحة مادة أساسية ووجودها ضروري وحتمي من أجل أن نتحدث عن أي لغة موضوع.

---

[1] ينظر أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، ص 166.

[2] بن مسعود محمد العربي: سيميائية خاصية الدور صناعة اللغة الواصفة عند الفرابي، المجلد 16، ع 02، جامعة زيان عاشور 2020م، ص 98.

[3] جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص 273.

ومن جاكبسون إلى **لويس هلمسليف (L. Hjelmslev)** وهو أيضا من المتأثرين بالتعاليم السوسيرية في محاولة لتشكيل مفهوم تصوري حول اللغة الواصفة "ويسير هلمسليف بهذا المنحنى التجريدي في خطى سوسير، وإن المادة موجودة موضوعيا، ويمكن أن يدركها جميع البشر ويتعرفوا إليها. إلا أن إدراك عالم المفهومات والتصورات لا يكون حرفيا أو مباشرا أو عاما"[1]، بهذا المعنى نجد أن هلمسليف لا يختلف عن رأي سابقيه، حتى أنه لا يمكنا إدراك المادة الموضوعية حرفيا وبهذا لابد من وجود لغة أخرى تصفها فهو من اللسانيين الذين اعتبروا أن اللغة في طريقة اشتغالها تملك القدرة للحديث عن نفسها.

وتشير الباحثة اللسانية **راي ديبوف (J. Rey Debove)** في تعريفها للمصطلح "الكلام اللغوي الواصف يتقلص ليصبح مجرد فرع معجمي صغير، توجد كلمات لغوية واصفة تستعمل للحديث عن اللغة، مثلما توجد كلمات لغوية واصفة، تستعمل للحديث عن الجغرافيا، السينما الخياطة، الرياضة،....إلخ"[2]، من خال هذ القول يمكن أن نستنتج أن اللغة لها وظيفة واصفة وهذا الكلام مفروغ منه كمسلمة أساسية لأن على حد قول الباحثة كل خطاب كان يتحدث عن أي موضوع له كلمات لغوية واصفة كالجغرافيا مثلا.

ونجد المصطلح في كتاب المصطلحات المفاتيح في اللسانيات يعرفها على النحو التالي "تستعمل اللغة الواصفة عموما لوصف موضوع محدد. ولعل الألسن الطبيعية تظل مميزة عبر هذه الخصوصية، كونها تمثل موضوعا للوصف ولغة واصفة في الوقت نفسه"[3]، في هذا التعريف

[1] ينظر مصطفى غلفان: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت–لبنان ، 2013، ص 289.

[2] عبد الجليل غزالة: اللغة الواصفة دراسة لسانية للخطاب القائم حول اللغة – جوزيف غاي دو بوف –، مجلة الموقف الأدبي، ع 386، اتحاد الكتاب العرب بسورية، حزيران2000، ص4.

[3] ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1 2007، ص 70.

إشارة إلى أن اللغة الواصفة آلية لوصف موضوع ما وهذا ما تتميز به اللغة بصفة عامة كونها تصف تتصف فهي عملة لوجهين.

لقد اكتسحت هذه اللغة مختلف المجالات والتخصصات لقد بحث فيها العديد من الدارسين في مختلف الميادين فنجد المصطلح يشاع حتى لدى النقاد فيما ربطها البعض بالتخصص وبعض المصطلحات المشابهة لها لذلك سنحاول الإحاطة بأبرز تلك التعريفات التي أسست لتطور هذا المصطلح وسوف نشير لآراء نستعين بمجموعة من المفاهيم النقدية.

مفهوم اللغة الواصفة لدى **جيرار جينيت(G. GENETTE)** " أنه إذا كان العمل لغة والنقد لغة واصفة فإن تقريره يكون بالضرورة شكليا، ولا شأن للنقد بالرسالة بل بالتشفير أي أن النظام الذي يجب أن تتواجد فيه البنية لا لفك تشفير معنى الجملة بل لتثبيت البنية الشكلية التي تسمح لهذا المعنى بإمكانية التحول"[1]، فهنا يشير جينيت إلى أن اللغة الواصفة أساسها البنية الشكلية التي من خلالها يتم توليد الرسالة المراد منها وإمكانيتها بالتحول أي اللغة الواصفة هي محرك للنقد ليكون له معنى.

كما نجد **رولان بارت (R. Barthhes)** أحد النقاد موضحا فكرته في مجال النقد يقول" إن موضوع النقد صعب للغاية فهو ليس العالم وإنما خطاب كائن اخر غير الناقد، فالنقد خطاب على خطاب، لغة ثانية أو لغة شارحة (كما يقول المناطقة) تعمل على اللغة الأولى (أو لغة الموضوع)"[2]، يشير بارت في سياق النقد أن الخطاب النقدي هو خطاب على خطاب فاللغة التي يستعملها الناس كوسيلة للتعبير عن أغراضهم هي لغة موضوع أما اللغة الواصفة فهي التي تتحدث عن اللغة نفسها، لغة ثانية شارحة حسب بارت.

---

[1] حسينة فلاح: الخطاب الواصفة ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد– فوضى الحواس– عابر سرير) ، ص 15.

[2] ينظر جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص 284.

وفي تعريف **إيميل بنفينست**(É. Benvenste) للغة الواصفة فإنه يردها الى مجال واحد كالآتي: "اللغة الواصفة لغة نحو"[1]، هنا تعريف مقتضب في حصر اللغة في مجال النحو وهو ما شاع عند الكثير من الباحثين لغة النحو لغة واصفة وهذا صحيح فإن لغة النحو لغة رموز وخطاب واصف بالدرجة الأولى.

فيما يعرفها **جوليان غريماس(J. Greimas):**" لا يمكن أن تكون اللغة الواصفة خارجة عن إطار اللغة الموضوع وبالتالي في لغة اصطناعية تحتوي في مضمونها على قواعد بنائها الخاصة"[2]، ويتضح من تعريف غريماس ترابط اللغة الواصفة مع لغة الموضوع التي لا يمكن أن تتنصل من كونها لغة اصطناعية تشتمل على مجموعة قواعد لتأسس بنيتها الخاصة.

وفي تتبعنا لجذور المصطلح في الساحة العربية فإنه ليس عدلا أن ننكر مجهودات العلماء الباحثين العرب ولا يمكن إغفال جهودهم في استنطاق مفهوم اللغة الواصفة باختلاف الترجمات فسرعان ما تغلغل هذا المصطلح في الدراسات العربية حيث يرى جابر عصفور أنَّ أول من نقل إلينا هذا المفهوم حول اللغة هو الباحث زكي نجيب محمود في كتابه "الخرافة والميثافيزيقا" وذلك نقلا عن ما جاء به كارناب أي أنه قد قرأ بحثه فتأثر به وما يؤكد ذلك قوله: "فكان أول تقديم نظري للوضعية المنطقية للغة العربية وأول تقديم عربي لمصطلح ما لبث أن شاع في الدوائر المنهجية للعلوم الإنسانية بوجه عام والنقد الأدبي بوجه خاص"،[3] فقد كان لهذا التأثير من قبل الباحث زكي نجيب محمود كبير وأثر بالغ في نقل حيثيات هذه الظاهرة أوساط الباحثين العرب خاصة في مجال النقد العربي.

---

[1] رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي_ إنجليزي _ فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000م ص 107.

[2] المرجع نفسه، ص 107.

[3]جابر عصفور، نظريات معاصرة، 272.

حيث يقول كذلك في هذا الصدد " أدَّى إلى تأصيل مفهوم النقد الشارح بوصفه مفهوما يشير الى نظام لغوي ثان، هو لغة شارحة لنظام لغوي أول هو لغة الموضوع"[1]، وهنا كانت البداية الحقيقة والظهور الحقيقي لهذا المصطلح عربيا وقد جلبه زكي محمود من مصدره الأصلي كارناب، وقد انتشر بعدها في جميع المجالات والدراسات العربية والأدبية أيضا وأدى بذلك إلى بلورة مجال نقد النقد، في الوقت نفسه لغة تشرح وتصف لغة أولى لغة الموضوع.

يذكر **زكي نجيب محمود** في كتابه موقف من الميتا فيزيقيا فيقول " فإذا كنا نبحث ونحلل ونصف لغة ما أو نرمز لها ب "ل$_1$ ، فإننا بحاجة إلى لغة أخرى ولنرمز لها ب ل$_2$ نصوغ فيها نتائج بحثنا في ل$_1$ ،أو نصوغ فيها قواعد استخدام ل$_1$- في هذه الحالة نسمي ل$_1$ لغة الأشياء ونسمي ل$_2$ "لغة الشرح "[2]، يعرفها زكي نجيب من خلال عملية بسيطة تؤدي بنا لنستنتج أنه للوصول إلى أي نتيجة أولية في دراسة أي ظاهرة لا بد من أن نستعين من لغة تانية تشرحها تلك هي اللغة الواصفة واصطلح عليها زكي نجيب محمود مصطلح لغة الشرح.

ويعرفها **جابر عصفور** في كتابه نظريات معاصرة" حيث أعطى لنا مفهوما أو مسمى آخر للغة الواصفة وهو "اللغة الشارحة" وذلك كان في سياق حديثه عن النقد الشارح فيقول" ينعكس الاهتمام باللغة الشارحة للنقد الأدبي على ما أصبح عليه النقد الشارح بوصفه الخطاب المعرفي الذي يقوم بأداء دور اللغة الشارحة"[3]، وهذا معناه أن اللغة الشارحة بمفهومه منحصرة في السياق الوظيفي للنقد باعتبارها تصف الخطاب النقدي الأدبي.

كما نجد في هذا السياق بالإضافة الى نخبة المعاصرين كذلك **أحمد يوسف** من خلال كتابه "الدلالات المفتوحة" يتحدث أيضا عن اللغة الواصفة ويربطها في ذلك باللسانيات الواصفة وهذا ما

---

[1] جابر عصفور، نظريات معاصرة ، ص273.

[2] زكي نجيب محمود :موقف من الميتا فيزيقيا، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1983، ص209.

[3] جابر عصفور: نظريات معاصرة، ص287.

نجده في قوله " اللسانيات الواصفة عبارات مقبولة حول اللغة، وهي التي تمتحن مدى الإستقامة والمجال لهذه الجمل حول العالم، ولهذا لا يمكن التقليل من دورها في فهم اليات اللغة الواصفة"[1] وهنا يعتبر أحمد يوسف أن اللسانيات الواصفة تعمل على استقامة الجمل نحويا وصرفيا ودلاليا وتركيبيا وهي السبيل الأمثل والأنجع لفهم اللغة الواصفة، وتعتبر أمرا أساسيا في فهم كيفية اشتغالها.

كما اهتم **عبد المالك مرتاض** بمصطلح اللغة الواصفة في أبحاثه وانطلاقا من معرفته الواسعة بالتراث العربي والغربي لم يتوقف مرتاض حد النقل الحرفي الجاهز للمصطلح بل سعى إلى ترجمته وتفكيكه، إذ يشير في كتابه الى: "...لغة اللغة ولسان اللسان"[2]، ولغة اللغة مصطلح مترجم أيضا للغة الواصفة أشار إليه عبد المالك مرتاض وهو يحمل نفس المعنى.

نجد **سعيد علوش** يضمن(Méta) في كتابع بمصطلح "ما فوق " فنجد ما فوق اللغة هي اللغة _ الأداة، والتي تعمل على تكلم اللغة _الموضوع، وينظر إلى ما فوق اللغة، في وظيفتها المألوفة، وغير العلمية مرة، وتارة في وظيفتها العلمية، التي تقتضي وصف اللغة، بشكل يقترب من المناطقة"[3]، يشير سعيد علوش إلى اللغة الواصفة من خلال مصطلح "ما فوق اللغة" من المصطلحات الشائعة حول نقل المصطلح مما أشرنا سابقت وقد جعلها علوش هنا الأداة التي تتكلم عن لغة الموضوع أي الواصفة للغة وتلك وظيفتها حسبه

ونجد **رشيد بن مالك** في قاموسه يعرفها:" هي الكلام على الكلام يعني الكلام المبني لوصف الكلام الطبيعي أو "الكلام الموضوع" يحيل على المراجع الألسنية وتتكلم على أدلة الموضوع"[4]، فلم

---

[1] أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، ص171.

[2]عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، (د. ط)، الكويت، 1990، ص 99.

[3]سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 199.

[4] رشيد ابن مالك: قاموس مصطلحات التحليل اللساني للنصوص عربي- انجليزي- فرنسي، ص 107.

يختلف تعريف رشيد بن مالك عن سابقيه في تعريفه للغة الواصفة بوصفها للكلام الطبيعي أي أنها لغة اللغة.

2- وظيفة اللغة الواصفة.

مما سبق لنا من معارف حول اللغة الواصفة والتتبع التاريخي لظهور المصطلح وأهم المصطلحات التي نتجت عنه من قبل العرب، كذلك المفهوم نستنتج أن للغة الواصفة وظائف متعددة وللتأكيد على ذلك دعمنا طرحنا بأقوال، هذا كي تتضح الرؤيا أكثر حول وظيفة اللغة الواصفة.

فإن مجال اللغة الواصفة هو اللغة بحد ذاتها والتكلم عنها ومحاولة إعطاء دراسة نقدية عميقة عمودية حولها هذا إن أردنا حصر وظيفتها في وصف اللغة فحسب لكن لو أردنا التعمق أكثر حول الوظائف التي يمكن أن تؤديها اللغة الواصفة نجدها متعددة.

فيمكن القول هنا "ليست الوظيفة الوحيدة للغة الواصفة التكلم عن اللغة التي تنتمي إليها وحسب، وإنما القدرة للكلام عن كل العلامات في اللغات بأسرها. سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية إن تمكن الخطاب الواصف من استعمال أي علامات للكلام عنها، يفتح ثغرة واسعة في أنساق اللغات"[1]، من خلال هذا القول يتبين لنا أنه لا يمكن حصر وظيفة اللغة الواصفة في دراسة اللغة ووصفها هي فقط بل إن مجال اللغة الواصفة واسع وممتد لجميع اللغات ويمكنها تفسير جميع العلامات فهي قابلة لأن تنفتح على أي خطاب كان وتندمج معه، فاللغة الواصفة تلامس جميع العلوم فهي لا تقف عند العلامات الطبيعية فقط وتحاول كذلك الإحاطة بالعلامات غير الطبيعية أي غير لسانية أو كما يشير القول "الاصطناعية".

---

[1] ابن مسعود محمد العربي: اللغة الواصفة في التراث العربي الإسلامي دراسة سيميائية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران(ألسانيا)، 2012_2013، ص 45.

هذا من ناحية وظيفة اللغة الواصفة في وصف اللغة والخطاب اللغوي وكذلك تعديها حتى العلوم الاخرى وولوجها داخل الأنساق التي تحمل العلامات غير لسانية يتضح لنا جزء آخر من وظيفة اللغة الواصفة وهو كونها تتيح للدارس أو الباحث تقليص الجهد للوصول إلى المفهوم الدقيق والمراد لأن مهمتها في الأصل إعطاء هذا المفهوم الموجز للباحث دون عناء.

يقول يوسف مقران" اللغة الواصفة التي أكثر ما تعني به هو تحليل التسمية ووصف المفهوم ضمن تبليغ المادة التعليمية منزلة ووسائطية بين النمطية والتعددية إذ كثيرا ما يعتمد معلمو اللغات طريقة الوصف (وصف المفهوم) في غياب التسمية الدقيقة"[1]، يتضح من خلال هذا القول أن للغة الواصفة وظيفة الإفهام والتبليغ في مجال التعليمية لأن دائما هناك مدلولات تحتاج للغة الواصفة لتقارب بين اللفظ ومفهومه في مجال التعليمية فتتيح معرفة المعنى المراد تحقيقه للمتمدرس ربما لذلك سميت أيضا باللغة الشارحة عند الكثير من الدارسين. وما يهمنا هنا أن وظيفة اللغة الواصفة تتعدى كل المجالات وأنها تساهم أيضا في بلورة وتشكيل المفهوم ومساعدة المتعلم من مقاربة اللفظ بالمفهوم وكذلك تحسين عملية التعليم و التبليغ وتصبح بذلك علما واصفا.

ومن المتداول كثيرا هو أنَّ لغة الأدب أو البحث الأدبي هي لغة واصفة غرضها توصيف الظاهرة الأدبية فكان في هذا الشأن من وظيفتها أن تكون لسان البحث الأدبي فعندما تدخل اللغة الواصفة على أي عمل أدبي سوف تشحنه باللغة الإيحائية وما ينجر عنها من صور تعبيرية هنا يمكن أن تكون إذا اللغة الواصفة الرابطة بين كل خطاب علمي وأدبي نقدي ولنوضح الصورة أكثر نستعين بالقول:" أن تكون اللغة العلمية الناتجة لغة واصفة لحقيقة الظاهرة لا لإحساساتنا تجاه الظاهرة. ولذلك قد تخلو اللغة العلمية خلو شبه تام من الصور المجازية والإيحائية واللغة الشعرية والتناص الفني وغيرها من أوجه التعبير الأدبي حرصا من الباحث على توصيل الحقيقة المجردة

[1]يوسف مقران: تبني تعليمية اللغات لنظرية التبليغ المحتكة بالمقاربة اللفظية والمقاربة المفهومية، مقال في مجلة حوليات، ع 16 الجزء2، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة-الجزائر، 2006، ص 24.

قدر الإمكان"[1]، إذا فاللغة الواصفة تملئ البحث الأدبي سمة التفاعل كما أنها تمنحه التوصيف العلمي لأنها لغة العلم أيضا فإنها دقيقة تروض ما هو علمي تأخذ منه الحقائق المجردة من الأحاسيس لصالح الأدبي بأسلوب يناسبها، فاللغة الموضوعية تحتاج كما قلنا سابقا هذه اللغة الشارحة والتي قوامها المصطلحات العلمية.

نتيجة:

في الأخير ما يسعنا القول من خلال كل ما سبق من مفاهيم وجدور حول اللغة الواصفة إلا توضيح نقطة مهمة عن أهمية اللغة الواصفة كختام لهذا المدخل لأنَّ عند ظهور أي مصطلح ويتم تداوله والاستعانة به في مختلف المجالات إلا وكان له أهمية بالغة ومنها ما أكدته حسينة فلاح في قولها: " تظهر لنا الدراسات النقدية الحديثة أهمية اللغة الواصفة التي تولد قراءة واصفة تقوم بإعادة بعث النص المشرف على الموت فالقراءة بهذا المفهوم انبثاق للدلالة وانعتاق لها، وهذه الدلالة تتجدد حيوية النص كلما قربت نهايته"[2]، إذن فاللغة الواصفة ليست مجرد آلة أو وسيلة أو وظيفة لدراسة اللغة فحسب بل تتجاوز القراءة السطحية للتوغل في عمق اللغة لإنتاج مجموع من الدلالات لعلامات لسانية كانت أو غير لسانية فهي تحوي جميع العلوم وقد وجدنا أثرها في جميع المجالات حتى النقدية لأنها اللغة النقدية بامتياز، كون اللغة الواصفة ميزة الديناميكية والتجدد فكل قراءة بها تجعل النص دائما في انفتاح على قراءات جديدة مما يجعل القراءة الواحدة المنطلق الذي يحيى به النص من جديد.

[1] رزيق بوزغاية: مشكلة الخطاب الأدبي في البحثين الأدبي والنقدي: رؤية نقدية، مجلة أبوليس، المجلد06، ع01، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة التبسي، تبسة–الجزائر، 2019، ص 63.

[2] حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي، ص30.

الفصل الأول: الخلفيات الابستيمولوجية للممارسة النقدية لدى آمنة بلعلى

المبحث 01: المعرفة التراثية لدى الناقدة.

المبحث 02: المعرفة بالمناهج النقدية المعاصرة لدى الناقدة

الفصل الأول: الخلفيات الابستيمولوجية للممارسة النقدية لدى آمنة بلعلى

تمهيد:

يجدر بنا الإشارة والتأكيد على أنه لا يمكن لأي ناقد أن ينطلق من العدم، فكل عمل مهما كانت صفته لابد له من مرجعية يقوم عليها ومهما كانت تلك الخلفية والمرجعية التي استند إليها، فإنه وبمجرد قراءتها ستتضح جليا وسيستشفها القارئ لها والمطلع عليها، وآمنة بلعلى كغيرها من النقاد لم تنطلق في مشروعها النقدي هذا والمتمثل في كتاب "سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية" من فراغ بل قد كان لها مجموعة من الخلفيات الابستيمولوجية والتي اتكأت عليها في قراءتها، مما جعل من هذا العمل النقدي ثمرة علمية ناجحة ومرجعا مهما للدراسات المعاصرة، وما نحاول معرفته الآن هو: ماهي أهم المعارف التراثية التي انطلقت منها الناقدة لتأسيس منجزها النقدي ؟ و كيف استثمرت ذلك فيه؟

فكل قارئ للتراث ستكشف مدونته لغته النقدية ثم بذلك عالم النص المقروء وخفاياه وهذا ما نلاحظه جليا في كتابها الذي نحن بصدد البحث فيه ثم إن "كل قراءة هي تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التراث إلا موجود لغوي قائم الذات باعتباره كتلة من الدوال المتراصفة وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن"[1]، أي أن كل ناقد في محاولته لقراءة التراث فهو بالضرورة يحاول إثبات وجوده وديمومته عبر الزمن، وفي تفكيك هذا التراث وإعادة بنائه من جديد تركز آمنة بلعلى على مجموعة من المفاهيم النقدية التراثية التي كانت لها خلفية قد تشكلت لديها بفضل قراءاتها والتي سوف تكشفها، وسنعرضها بالتوالي حسب ما جاء في كتابها، وبذلك سوف نحاول التطرق للرؤية المعرفية للناقدة ونحاول الكشف عن حيثياتها.

---

[1] جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، عين للدراسات والبحوث، ط1، القاهرة، 1994، ص41.

المبحث 01: المعرفة التراثية لدى الناقدة.

في هذا المبحث سنتطرق إلى مجمل المفاهيم النقدية التي استثمرتها الناقدة آمنة بلعلى في كتابها "سمياء الأنساق" لنكشف عن مدى معرفتها بهذه المفاهيم وكيف وظفتها وقبل ذلك نشير إلى أنه:" من الضروري أن يؤسس الدرس النقدي على ما ورثناه من أجدادنا من تراث نقدي ومن أنسب الوسائل لتحقيق ذلك، دراسة تاريخ النقد الأدبي وقضاياه دراسة موسعة، من خلال كتب التراث النقدي، ومصادره الأصلية"[1]، قد حمل خطابنا العربي النقدي مفاهيم وافرة خصبة لا يمكن محو أثرها من خطابات أدبية وفوق أدبية وما نتحدث عنه الآن هي تلك الخطابات النقدية التي حملتها أُمَّات الكتب قديما والتي مثلت الزاد التراثي، ولا تزال الدراسات المعاصرة تناشد بها ليومنا هذا لأنها شهدت من القضايا الأدبية والنقدية ما لا يغفله أي قارئ نقدي للتراث الأدبي.

يقول محمد عابد جابري في تعريفه للتراث أنَّ "ينظر إلى "التراث" لا على أنه بقايا ثقافة الماضي، بل على إنه "تمام" هذه الثقافة وكليتها: إنه العقيدة والشريعة، واللغة والأدب، والعقل والذهنية، والحنين والتطلعات"[2]، وهذا مفاده أن التراث هو ذلك الوعي الجمعي المتجذر في ذواتنا والذي يجعل منا خلفا لسلف مضى تمثل ولا يزال متمثلا لدينا في ديننا ولغتنا، وحتى في تفكيرنا.

"تتمثل المرجعية التراثية كونها ثقافة الموروث العربي بضروبه المتنوعة من تاريخ وفلسفة وفكر ومن فنون الموروث المختلفة شعرا ونثرا، ومن علوم أحاطت بهذه الفنون، كالنقد والبلاغة والنحو والصرف وعلم العروض والقافية، فضلا عن كل ما له دور حاسم في تشكيل آليات المعرفة العربية "[3]، سوف نشير أولا وقبل كل شيء إلى **القرآن** كخلفية معرفية دينية باعتباره سلطة ومرجعا

---

[1] عثمان موافي: دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الإسكندرية، (د. ط)، مصر، 2000م، ص 20.

[2] محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات.. ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1991م، ص 24.

[3] علي محمد ياسين: خطاب نقد الشعر عند حاتم الصكر، (دراسة في المرجعيات والمفاهيم والإجراءات)، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2013، ص5.

أولا يتحكم في الأمور الدينية والدنيوية لحياة الناس، وأن القرآن هو أبلغ خطاب يمكن أن تستند إليه أي معرفة نقدية، حيث أن:"أمتنا العربية ذات تراث واحد روحي وعقلي وأدبي، ونور تراثها الروحي الباهر القرآن الكريم المعجزة التي ليس لها سابقة ولا لاحقة في تاريخ الحياة الروحية الإنسانية "[1]، ونجد أن لهذه السلطة أثرا ظاهرا على كل الأشكال الأدبية وحتى النقدية، فمع دخول الدين الإسلامي إلى البلاد العربية، وبلسان عربي مبين أخضع هذا الدين أحكامه على الإبداع الفني فقيّده بها وصقله وهذبه ثم إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنه لا يقف حد الأمور الدينية والعبادات، بل إنَّ له من الاتساع والشمولية نحوا وبلاغة ومجازا ومن الاعجاز اللغوي الذي لم يسبق له مثيل فكان ذلك منطلقا لعديد من الدراسات البلاغية والنقدية القديمة منها والمعاصرة، وقد كان لآمنة بلعلى ذلك القدر الكافي من التمكن والدراية بما يحمله النص القرآني من مجموع الأنساق والرموز والعلامات اللامتناهية التي تدعوا إلى التدبر في الكون بما فيه فجعلت من هذه الخلفية المعرفية الموجه الأساس لدراستها، وقد استدلت بمجموعة من الآيات القرآنية من عدة سور كالغاشية، الرعد النحل، الإنسان، الفتح... كقوله تعالى في منزل تحكيمه "أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إلى الإبل كَيْفَ خُلقَتْ" الغاشية: 17، وقوله: "قُلْ فَانظروا مَاذا في السماوات والأرض" يونس: 101. وكذلك قوله تعالى "إنَّ في ذَلكَ لَآيةً لقَوْم يتفكرون" النحل: 11، وكلها آيات تدعوا إلى التدبر وإعمال العقل وفهم المعنى من الوجود والعلاقات التي تربط الأشياء، وذلك لتوليد نوع من التأويل الذي يصرف نظرة العرب الاعتباطية للكون وللحياة التي كانوا عليها، فلغة العرب هي لغة القرآن، وباللغة والفكر يكون السبيل لفهم الدلالة وإنتاج المعنى، ولا يمكن أن تفهم دلالة العلامات إلا من خلالهم.

ويأتي **الشعر** بعد المعرفة الدينية تماما كونه معرفة تراثية وديوان العرب قديما، ولسان حالهم وأحوالهم، والذي كان له قسط من الحديث عند الناقدة، وهذا بإشارة منها في قولها: "ولقد ولع

---

[1] خالد محمد حمدي صميدة: التراث الإسلامي (– مفهومه – خصائصه– الاختلاف المنهجي في قراءته)، مجلة كلية أصول الدين ع40، جامعة الأزهر، مصر، (د.ت)، ص23.

العرب بالنموذج منذ جاء القرآن بلغتهم، فرأوا في الشعر نموذجا يساهم في فهم النسق القرآني ولعلهم وجدوا في الشعر أيضا كل الخصائص التي تجعله يحقق صفة النموذج والمثال"[1]، وعلى اعتبار أن لغة القرآن هي نفسها لغة الشعر فقد كانا كلاهما بلغة عربية، مما يسير على العرب أن يفهموا علاماته ويؤولوها، فكان القرآن الكريم الموجه الأول لمختلف المعارف التراثية التي توصل اليها العرب في استنباط احكام الأصول ووضع القواعد والقوانين للنحو والبلاغة وغيرها، ويمكننا كذلك في حديثنا عن **الموروث الشعري** العودة إلى المؤلفات النقدية القديمة ونظرتها إلى هذا التراث الشعري بما حمله من زاد معرفي والذي لا يزال أثره باقيا إلى يومنا هذا، يقول ابن رشيق وهو أحد أعمدة النقد الأدبي القديم في هذا الصدد:" وكان الكلام كله منثورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيب أعراقها... فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام، فلما تم لهم وزنه سموه شعرا لأنهم شعروا به، أي : فطنوا"[2]، فقد كانت تلك خصيصة الشعر التي ميزته عن باقي الأنواع الأدبية والتي منحته استقلالية في تمثيل الحياة العربية وقيمها.

ولم تقف فصاحة اللسان العربي حد الشعر بل تجاوزته إلى النثر بأشكاله، والتي كان لها نصيب من الحديث عند الناقدة من خلال إشارتها إلى **القصة والرواية** باعتبارهما وجهين من أوجه البلاغة العربية القديمة كذلك رغم قلتهما في التراث العربي كونهما ارتبطا في كثير من الأحيان بالخيال، وقد كان استثمار آمنة بلعلى لهذه الخلفية التراثية من باب أنها قد عكست براعة ومدى تمكن الفرد العربي من ربط وتأويل العلامات وما تحمله من دلالات مختلفة وقد أشارت إلى ذلك بقولها أنّ: " العرب قد كانوا يمارسون عمليات الاستدلال في تأويل العلامات فيما عرف لديهم بعلم القيافة "[3]، وقد أكَّدت صحة قولها ذلك من خلال إشارتها لقصة أبناء نزار في براعتهم في تقفي أثر بعير دون أن يروه "إذا هم بأثر بعير ،فقال إياد، إن هذا البعير الذي

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، تشكلات المعنى في الخطابات التراثية ، دار النهضة العربية ،(د. ط)، بيروت، 2013م ص57.

[2] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (د. ط)، (د.ت)، ص2.

[3] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص36.

ترون أثره أعور فقال أنمار: وإنه لأبتر...قال: وما يدريك أنه أعور؟ قال: رأيته مجتهدا في رعي الكلأ من شق قد لحسه والشق الآخر واف كثير الالتفات لم يمسه فقلت: إنه أعور وقال أنمار: رأيته يرمي ببعره مجتمعا ولو كان ألهب لمصع به، فعلمت أنه أبتر..."[1]، وفي حديثها عن الرواية ليس بكونها معرفة حاملة لتراث عربي فقط بل باعتبارها كذلك نسقا من العلامات حاملة لدلالات لا متناهية تعكس ذلك التصور الدقيق للعرب لما هو موجود في الواقع، تشير آمنة إلى ما رواه ابن جني في كتابه الخصائص " ألا ترى قولهم للإنسان إذا رفع صوته: قد رفع عقيرته فلو ذهبت تشتق هذا بأن تجمع بين معنى (ع ق ر) لبعد عنك وتعسفت، وأصله أن رجلا قطعت إحدى رجليه، فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم صرخ بأعلى صوته، فقال الناس رفع عقيرته"[2] وهذا إنما يدل على مدى دقة تصور العرب للعلامات وإلا فكيف كان لهم أن يختاروا هذه الكلمة بالذات دون غيرها فما كان لنا أن نفهم معنى عقر الآن إلا من سياق الكلام الذي جاءت فيه قبلا.

ونقف بعد ذلك حد **النقد الأدبي** بما حمله لنا من مؤلفات نقدية بلاغية غاية في الأهمية والتي كانت ولا تزال تمثل منعرجات مهمة في تراثنا النقدي وكذا البلاغي، والتي تعتبر تركة خالدة على منجزات العرب مثل: كتاب الموازنة للآمدي، وكتاب الوساطة للمتنبي وكتابي النظم وأسرار البلاغة للجرجاني، والبيان والتبيين للجاحظ، وكذا كتاب مفتاح العلوم للسكاكي بالإضافة إلى الحماسة للمرزوقي ...إلخ، حيث إنه: "لتراث عظيم أن نمتلك في النقد العربي كتابين كالموازنة والوساطة وفي المنهج اللغوي كتاب كالدلائل نجد فيه أدق نقد موضوعي تطبيقي وأعمقه "، وقد وجدنا أثرها في مدونة الناقدة وهذا إنما يدل على مدى معرفتها الواسعة بمجمل الخطابات الأدبية التي حملها التراث العربي على مر العصور، ومن المعارف التراثية النقدية والبلاغية التي اهتمت كتب النقد الأدبي بها نجد النحو، البلاغة، النقد، علم الأصول والتي استندت كل واحدة منها إلى أسس وخلفيات معرفية معينة جعلتها تنظر إلى النظام العربي اللغوي وتدرسه من زوايا

[1] المسعودي نقلا عن، آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق،ص36.

[2] ابن جني: الخصائص: تح: محمد علي النجار، ج1، دار الهدى، ط2، بيروت، (د. ت)، ص24.

مختلفة فالنحو مثلا هو:" علم استخرجه المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة. فباستقراء كلام العرب علم أن الفاعل رفع والمفعول به نصب، وأن فعل مما عينه ياء أو واو تقلب عينه من قولهم: قام و باع "[1]، فقد كان مجال اشتغاله ينطلق من بنية النص من خلال الكشف عن العلاقات الشكلية التي تربط بين عناصر الجملة وما تحمله تلك العناصر من مدلولات، وقد أشارت آمنة بلعلى إلى ذلك في كتابها بقولها:" نُظرَ إلى النحو على أنه يعنى بالقواعد التي ينبغي للمتكلم أن يراعيها كي لا يقع في الخطأ. والمقصود بالخطأ هنا، في معناه الشكلي وليس المقصود باللحن الخطأ في المعنى"[2] ويقصد بهذا أن العرب كانوا يحاذرون على النطق الصحيح والوقوف على الحركات الإعرابية الصحيحة فالضم ضم والكسر كسر لتوخي الوقوع في الخطأ حفاظا على العلامة فلا تفقد مدلولها وتبقى محافظة على قيمتها، وتشير كذلك إلى أن للنحو أنواع تختلف باختلاف مجال اشتغالها في اللغة فهناك" نحو الإعراب-أي النحو الشكلي- الذي نجده غالبا عند النحاة، وهناك نحو الأساليب ومقاصد المتكلمين كما نجد عند عبد القاهر الجرجاني، وهناك نحو الدلالات والانسجام النصي أو نحو النص كما نجده عند الأصوليين "[3]، بعدما اطلعت آمنة بلعلى على مختلف العلوم وبرؤيتها أدركت أن العرب كانت لهم براعة في استخراج القواعد وتقسيمها حسب مجال اشتغالها لذلك نجد للنحو أنواع .

وفي **المعرفة البلاغية** حسبنا الإشارة إلى ما وردنا من آثار بلاغية مثل سر الفصاحة أسرار البلاغة، البيان والتبين، دلائل الإعجاز، قانون البلاغة، البديعيات ...إلخ، والتي كانت بمثابة معبر لتقصي المعرفة البلاغية، يقول الرماني عن البلاغة "أصل البلاغة طبع، ولها مع ذلك آلات تعين عليها، وتوصل للقوة فيها، وتكون ميزانا لها، وفاصلة بينها وبين غيرها، وهي ثمانية

[1] محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، (د. ط)، المغرب، 1999، ص88.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص49.

[3] المصدر نفسه، ص58.

أضراب: الإيجاز، والاستعارة، والتشبيه، والبيان، والنظم، والتصرف، والمشاكلة والمثل"[1]، أي أن البلاغة لا تتأتى في الكلام العادي والنسق الظاهر وتمام الكلم، وإنما تكون عبر المجاز بما يحمله هو الآخر من قدرة على التبليغ وإفهام للمقاصد، وقد كان المنطلق في البحث البلاغي هو البحث في خصائص كل من الخطاب القرآني والخطاب الشعري باعتبار أنهما كانا على لغة واحدة وقد استندت الناقدة في فهمها للمعرفة البلاغية العربية على التقسيم الثلاثي الذي وضعه شارل سندرس بيرس للعلامة في جانبها النحوي، الدلالي التداولي من أجل تتبع مسار نشأة المعنى المجازي في البلاغة العربية واستندت فيه إلى أقوال كل من ابن قتيبة وسيبويه، وأبي عبيدة والجاحظ والتي قادتها إلى أن المجاز يتأتى من خلال توالد الدلالات وتفرعها عن أصولها فتقول في هذا" لقد اتضح أن المجاز يتجاوز الحقيقة التي تعد نظاما شكليا محدودا، لا يقوم بإعطائنا إلا المعنى الأولي، ومن خلال حديثنا عن عمليات كالتحويل والنقل والاستبدال والإحالة وغيرها التي ينشأ بفضلها المجاز"[2]، وأما من حيث معرفتها بمقتضيات الدرس البلاغي فتشير آمنة إلى أنها قد وجدتها متجسدة في ما قدمه كل من القرطاجني، والجاحظ، والجرجاني والسكاكي.

ومن بين القضايا النقدية التي تطرقت إليها الناقدة في كتابها "سمياء الأنساق" **الشعرية** وذلك في الفصل الرابع من الكتاب الموسوم ب"التشكل السيميائي للمعنى الشعري"، ولنطرح رأي الناقدة ونتتبع معرفتها بهذا الحقل المعرفي وكيف فصلت فيه، لابد من عرض مفهوم الشعرية في الدراسات الغربية والعربية ثم كيف استثمرت تلك المفاهيم في طرحها للقضية.

الشعرية نظرية متغيرة، متحولة من عصر إلى عصر، حسب الثقافة التي أنبتتها، وحتى الأدوات تتغير من جيل لآخر فكل من يضع بصمته الخاصة عليها، تلك التغيرات نتج عنها مفاهيم عديدة صاحبتها منذ أول ظهور لها، لذلك نجد لها عدة مفاهيم تختلف من باث لآخر.

---

[1] الروماني نقلا عن ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ص146.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص100.

فإن الشعرية" Poetics مصطلح قديم حديث في الوقت ذاته، ويعود أصل المصطلح – في أول انبثاقه– إلى "أرسطو (...)، وقد اتخذ مصطلحات مختلفة منها: شعرية أرسطو ونظرية النظم للجرجاني، والأقاويل الشعرية: المستندة إلى المحاكاة والتخييل عند القرطاجني أما الجهة الثانية فتتلخص في النظريات التي وضعت في إطار مصطلح(الشعرية) ذاته مع اختلاف التصور في سر الابداع وقوانينه، كما هو الحال في نظرية التماثل(équivalence) عند ياكبسون R.Jakobson ونظرية الانزياح déviations عند جان كوهن ونظرية الفجوة: مسافة التوتر عند كمال أبو ديب"[1]، فإذا تتبعنا المصطلح في ظهوره نجد أن الشعرية قديمة المنبت وذلك راجع لما وضعه أرسطو في كتابه فن الشعر، بالإضافة إلى الدراسات النقدية العربية فقد كشفت العديد من الدراسات النقدية للتراث النقدي عن وجود الشعرية في تراثنا العربي قديما، وقد تجلت في مصطلحات عديدة كالنظم عند الجرجاني، وتمثلها في التخييل عند القرطاجني، ثم في الدراسات الحديثة ما قدمه جاكبسون في إطار البحوث اللسانية، وتودوروف، وكوهن في كتابه النظرية الشعرية وغيرهم، وفي الدراسات العربية ما قدمه كمال أبو ديب، وأدونيس، محمد بنيس..

وكي نحيط بمفهوم الشعرية نأخذ مجموعة من التعاريف من الدراسات الغربية والعربية كي تتضح لنا الرؤية أكثر، حيث يقول تودوروف عن سعي الشعرية" معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع...تبحث عن القوانين داخل الأدب ذاته، فالشعرية إذن مقاربة للأدب "مجردة" و"باطنية" في الآن نفسه"[2] ومنه فإنه تعريفه شامل للشعر والنثر وما يربطهما هو الأدبية، ذلك أن الشعرية بحثٌ في القوانين التي تجعل الأدب أدبا سواء كان شعرا أو نثرا فهي لم تخص نوعا واحد فكان هذا التعريف أقرب للمفهوم المتداول.

---

[1] ينظر حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994م، ص11.

[2] تزفيطان طودوروف: الشعرية ، تر: شكري المبخوث، رجاء بن سلامة، دار توباق للنشر، ط2، المغرب، 1990م، ص 23,

وفي الدراسات العربية نجد أن معظم الدراسات التي أصلت لمفهوم الشعرية قامت بالعودة لمصطلح في التراث النقدي العربي، ومحاولة البحث عن حيثياتها داخل المؤلفات النقدية القديمة ومن بين تلك الدراسات نجد دراسة كمال أبو ديب "في الشعرية" دراسة أدونيس "الشعرية العربية" دراسة محمد بنيس "الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها"، في مقاربات حول مسار تطور الشعرية العربية والإحاطة بالمصطلح الذي أخذ يتراوح بين عدة مصطلحات لإشكالية الترجمة في تحديد مفهوم دقيق يقابل الطرح الغربي لمصطلح الشعرية" لنأخذ تعريف كمال أبو ديب " الشعرية في التصور الذي أحاول أن أنميه هنا، وظيفة من وظائف ما أسميه الفجوة، أو مسافة التوتر(...) من هنا أصف الشعرية بأنها إحدى وظائف الفجوة أو مسافة التوتر"[1]، تتجلى الشعرية عند كمال أبو ديب من خلال الفجوة وهي تلك الفراغات التي تنشأ بين القارئ والنص إنها تخلق نوعا من الصدمة والخلخلة فتكسر بذلك أفق التوقع لدى القارئ، فتخلق تأويلات أخرى للنص يمكن أنّه حتى الكاتب لا يعلمها تلك هي الشعرية.

استثمرت الناقدة مجمل المفاهيم التي أصلت للشعرية وكونت معرفة خاصة بها ما سمح لها بتحديد مفهومها والبحث في تراثنا العربي حول تجلي الشعرية والإحاطة بالتفكير السيميائي الذي صاحبها عند القرطاجني، قبل ذلك نلاحظ قول آمنة بلعلى حول الشعرية:" هي البحث في قوانين الأدب عندما يصير الأدب منتوجا وبين البحث في قوانين الإنتاج وقوانين المنتوج بون شاسع مثل البحث في الملفوظ وعملية التلفظ"[2]، لقد أدركت الناقدة أن الشعرية تبحث في قوانين تشكل الأدب عندما يكون جاهزا، والفرق بين البحث فيما هو جاهز والقوانين التي أصبح من خلالها ذلك المنتوج مكتملا فرق شاسع، كونت آمنة بلعلى رؤية في هذا المسار انطلقت من خلالها في عرض الأفكار النقدية التي ساهمت في كيفية تولد المعنى في الخطابات الأدبية عادت آمنة بلعلى إلى الدراسات الغربية فلاحظت وجود أفكار غريماس وجوليا كريستيفا أي

[1] كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، 1987م، ص 20_21.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص178.

الدراسات الغربية حول اللغة الشعرية وما طرحته البلاغة الجديدة وما قدمته الفلسفة التأويلية غادمار وبول ريكو وأمبرتو إيكو والتي رأت أنها قد توجهت نحو بحث سيميائي سردي، أي جهودهم قد اقتصرت على النصوص السردية، وبحوثهم لم تكنر كافية لتقصي المعنى الشعري حيث تقول أنَّ:" هذه الجهود المذكورة في الثقافة الغربية لم يكن موضوع الشعر فيها هو الأساس وأنَّ الاتجاهات اللسانية والفلسفية وحدها لا تستطيع الوصول إلى كنهه"[1]، ورغم أن هناك محاولات في الكتاب الجماعي" محاولات في السيمائية الشعرية" التي رسخت جهود غريماس حول البنية الشعرية إلا أنَّ هذه المحاولات لم تكن كافية للبحث في قوانين إنتاج النصوص الشعرية، ما استلزم عودتها، إلى تراثنا النقدي لتجد أنهم أولو اهتمامهم بالشعر باعتباره ديوان العرب على حساب النثر، واختارت حازم القرطاجني فهو خير تمثيل لتولد المعنى الشعري، وذلك من خلال مؤلفه "منهاج البغاء وسراج الأدباء" كتاب فريد من أمَّات الكتب قديما فهو غني بالقضايا التراثية النقدية، لذلك توجهت آمنة في البحث عن كيفية تشكل المعنى الشعري عند حازم القرطاجني برؤية حداثية، وذلك لامتلاكها آليات معاصرة فاكتشفت أنَّ القرطاجني قد أسس لقواعد منهجية للبحث عن المعنى الشعري بالاعتماد على "المنطق الأرسطي ومن سبقوه كالجاحظ وقدامة بن جعفر والجرجاني ما يعني أنه أقام منهجه ونظريته في المعنى على مراجعة طروحاتهم"[2]، وهذا يدل على شيء واحد وهو معرفة الناقدة الواسعة إلى حد من تأثر بهم القرطاجني أي أنها تملك خلفية إبستيمولوجية بكل هذه المعارف النقدية التراثية، لقد وضع القرطاجني قواعد لأدبية الشعر انفرد بها عن غيره وهو اهتمامه بالإضافة إلى التخييل والمحاكاة لأهم شرط وهو الإيقاع حيث تقول الناقدة: " لذلك بقي الجانب الصوتي في الشعر خاصة وما يمثله على مستوى الايقاع أهم شرط من شروط بلاغته وهو مثلما أشار الجاحظ باب كبير لم يستطع الولوج من إلا القرطاجني في حين عكف من كانوا قبله على معاينته"[3]، فقد انفرد الناقد ببحثه عن المعنى الشعري

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 136.

[2] ينظر المصدر نفسه، ص144.

[3] المصدر نفسه، ص 142

في من سبقوه، وربما كان تركيز الناقدة عليه إنما كان لتقصيه لأهم المداخل في تحقق الشعرية التي لاتزال لليوم محل دراسة ومن بينها دور الايقاع في بلاغة الشعر، كما يقول توفيق الزيدي في هذا الصدد:" فإن من بين ما يكسب الكلام "أدبيته" هو الايقاع الذي يكمن اعتماده كمقياس لتعريف الشعر وفنون القول الأخرى، بهذا الاعتبار كلما كثرت المؤثرات الايقاعية في الكلام تحقق الشعر أما إذا انعدمت هذه المؤثرات فالكلام عندها يكون "غفلا" "[1]، لذلك كان الاهتمام بالإيقاع على أساس أنه المولد الأساسي في بناء الشعر وتحقق أدبيته عند القرطاجني.

تقول آمنة بلعلى عن الشعرية: " تقوم الشعرية في علاقتها بما يفرزه العصر من معارف أو تمثلات ثقافية تجعل المبدع ينتج تبعا لشروطها. ومنذ العصور القديمة تحققت قوانين الثقافة من خلال ما أنتجه الأدباء وما استند اليه النقاد في معاينة تطور الظاهرة الأدبية"[2]، وكما أشارت آمنة بلعلى في هذا القول أن كل مبدع بالضرورة سوف يتبع شروط معينة تفرضها المعارف الثقافية على اختلافها، و في عرضها لأهم المقولات التي وضعها القرطاجني حول تولد المعنى الشعري وهي ثلاث شروط لا بد أن تتحقق في أي عمل أدبي حسبه حيث تشير إليهم الناقدة بقولها " أما المقولة المنطقية فهي الخاصة بنمط العلاقات والعمليات المنطقية التي تستثمر بها تأليفات المعاني وأما العاطفة فهي المقولة المزاجية على ثناية الارتماض والارتياح، وأما الجمالية فهي العلاقة بين النص والمتلقي"[3]، واستنادا لهذا القول فإن المعرفة الشعرية راجعة إلى النسق المنطقي والانفعال القائم بين المخاطب والمتلقي أي التقبل من النص الشعري وذلك في المقولة العاطفية انطلاقا من الانفعالات التي تصاحب المواقف البشرية ويجسدها صاحب النص، أي الجسد وما يتبعه من انفعالات وعواطف كالحب والكره اللذة والألم الحزن والفرح وهذه المتناقضات

---

[1]توفيق الزيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون، ط2، الدار البيضاء، 1987م ص152.

[2] أمنة بلعلى، عبد الله العشي: فقه الشعر، من سؤال الشكل إلى أسئلة المعنى، دار ميم للنشر،(د. ط)، الجزائر، 2019م، ص 153.

[3] آمنة بلعلى: سمياء الأنساق، ص 149.

هي التي تساهم في بناء مسار تولد المعنى وتشكله ومن تم تمظهراته وهذه المكونات العاطفية التي تجعلنا نتذوق الشعر ونفهمه، أما الجمالية فتتأتى من خلال مدى قدرة الخطاب الشعري في التأثير في المتلقي فتحدث تلك اللذة التي تجعله يحكم بين الجميل والقبيح. فالمقولة الجمالية كما هو ملاحظ تحدث على مستوى فعل المتلقي الذي بدوره يخضع لقوانين وجدانية تفرضها عليه لغة الجسد من انقباض وانبساط ولذة وارتياح وغيرها، وكل تلك الانفعالات التي تصاحب التقبل الذي يحدث من قبل المتلقي.

من بين القضايا النقدية أيضا التي اهتمت بها آمنة بلعلى نجد **الأصول،** حيث مكنت المعرفة بأصول الفقه عند الناقدة تحليل وتأويل هذا الدرس العربي التراثي فكانت على علم ووعي بأسبقية فكر الغربيين من أفكار اعتبرتها المفاتيح الأولى لمجموع المباحث والمعارف الإنسانية لكن الناقدة ترى أنه لا حرج إذا بحثنا في فكر النقاد العرب أمثال الجاحظ وعلماء الأصول والمتصوفة...وغيرهم، مما أنتجه هؤلاء من أفكار قد نحاور ونفاضل أو نقارب بها مع الغرب حيث تعرف علم أصول الفقه" الذي هدفه معرفة الطرق سوى عمليات استدلالية تجسد حركة انتقال الذهن لرصد حركة الدلالة، ثم استنباط الحكم الشرعي"[1]، فقد جمعت هذا التعريف استنادا إلى تعريف ابن الحاجب لعلم الأصول وعلم أصول الفقه لتكون معرفة كلية حول هذا التراث ونظرا لقراءتها لمختلف المعارف التراثية توضح في تعريف أشمل و أدق أن علم أصول الفقه هو " تلك القواعد التي يحتكم إليها لمعرفة الأحكام الشرعية بواسطة الاستدلال، أو النظر في الأدلة التي هي خطاب الله والرسول والإجماع والقياس "[2]، وهذا يعني أن علم أصول الفقه علم قائم بذاته مجموع من القواعد التي تكشف عن اشتغال الدلالة وأصولها وطبيعتها وذلك بواسطة الاستدلال.

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص 190.

[2] المصدر نفسه، ص 191.

فبحثت الناقدة في قواعد الاستدلال والمقصود منها "هي العلم بالأصول الإجمالية أو العامة التي يستدل بها للوصول إلى وجوه الدلالة المرتبطة بها"[1]، وقد كونت الناقدة من خلال دراستها معرفة حول علم الأصول ومباحثه وكشفت عن هذه القواعد ابتداء من طرح أفكار الشافعي، ولم تقف عند هذا الحد فقد قرأت كتب الأصوليين أمثال الغزالي والآمدي، والرازي، والزركشي وكشفت حسن تأثرهم بمنطق أرسطو وذلك كان راجعا لاطلاعها الواسع بالمعارف الأصولية لهؤلاء ونؤكد طرحنا بقولها :"هناك من لا يرى قيمة لعلم الأصول إلا به وبتخريجاته كالغزالي ومن الذين تبدو كتاباتهم الأصولية متأثرة بالمنطق الأرسطي إلى جانب الغزالي. الآمدي والرازي، والزركشي وغيرهم"[2]، ذكرت الناقدة أهم المباحث التي اهتم بها علماء الأصول وجهودهم في الكشف عن درجات الدلالة وحركتها واشتغالها، ولم تقف الناقدة عند ذلك القدر بل حاولت مقاربة آراء الأصوليين في بعض القضايا مع تصور السيميائيين الغربيين من بينها قضية المفهوم وذلك من أجل البحث في النسق السيميائي للدلالة عند الأصوليين أي التمظهرات السيميائية في مثل هذه القضايا النقدية التراثية.

وفي خاتمة الكتاب تشير آمنة بلعلى إلى أحد الخطابات التراثية وهو **الخطاب الصوفي** لكن حديثها كان من جانب آخر سنكشف عنه وقبل ذلك، إن الخطاب الصوفي من بين المباحث الكبرى التي اشتغلت عليها الناقدة من قبل وألفت لها كتاب بعنوان "تحليل الخطاب الصوفي" في طبعته الثالثة عام 2009م أو بعنوان "الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي" من عام 2001م ركزت الناقدة على مثل هذه الخطابات الواصفة لعكوف الباحثين والناقدين في البحث والاشتغال حول الأدب الصوفي وتؤكد ذلك من خلال قولها " إن التقدم الواضح في تحليل الخطابات وبمناهج مختلفة والاهتمام بالخطابات التراثية التي تجنب أصحابها القراءة الإيديولوجية، لم يكن للخطاب

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص183.

[2] المصدر نفسه، ص 184.

الصوفي حظ منه، وبقي محصورا في الدراسات الايديولوجية وهي جهود متراكمة غبر التاريخ"[1] لقد أثارت إشكالية عزوف الدارسين للخطابات التراثية فكر الناقدة، فكيف يتكون المعنى في هذا الخطاب وبآليات معاصرة، فقد رأت أن معظم الباحثين لم يتجاوز اشتغالهم الطرح الفلسفي والإيديولوجي والبحث في التاريخ، أما البحث في الكتابة الأدبية الصوفية فهو قليل جدا وقريب من العدم، لم تكوّن الناقدة هذه المعرفة من عدم، فقد تتبعت تجارب الصوفيين وبحثت في الظواهر الصوفية وتمثيلاتها تقول: "فضلت أن أرصد هذه الظواهر من أكثر الوجوه تمثيلا كأبي يزيد البسطامي والحلاج في القرن الثالث، والنفري والتوحيدي في القرن الرابع، ولما كان القرن الخامس فارغا إلا من الأخبار والكرامات، والتي مثلت لها لعبد القادر الجيلاني، وقفت عند ابن عربي ومن عاصره كابن الفارض، بعدما تأكد لي أن التجربة والكتابة الصوفية بلغت ذروتها عند هذا الصوفي المتميز(ابن عربي)"[2]، بحثت الناقدة لتأسس معرفة بهذا النوع من الخطابات عند هؤلاء الصوفيين في حقل معرفي واسع وكوَّنت بذلك معرفة شاملة بهذا الخطاب، واعتبرت أن المظاهر الصوفية اكتملت عند الصوفي ابن عربي، وكشفت عن الخصائص التي ميزت هذا الخطاب.

وتعود بنا آمنة مجددا بذلك الزاد المعرفي الذي قد كونته مسبقا، وقد بحثت وكشفت عن تشكلات المعنى في الخطاب الصوفي، لتكشف من جديد في خاتمة مشروعها "سمياء الأنساق" عن مجال أوسع من ذلك وهو" العرفانية الصوفية" وتوضح أنه لم يعد كافيا البحث في كيفية تشكل المعنى وفقط، بل لابد من استنباط النظريات التي تقوم عليها هذه المعرفة، لذلك كان لابد لنا من الإشارة في هذا المبحث إلى هذا القوس الذي فتحته الناقدة واعتبرته كتمهيد للدراسات المقبلة وفتحت بذلك آفاقاً للبحث عن هذه النظريات، فالعرفانية كما وصفتها استراتيجية تقابل النسق السيميائي وذلك من خلال قولها: "بها يحدث الكشف وتحصل المعرفة وهو اعتبار

---

[1] ينظر آمنة بلعلى: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج المعاصرة، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،ط3، مدوحة تيزي وزو، 2009، ص 8.

[2] امنة بلعلى: سمياء الأنساق ، ص 10.

مكمل وأشمل من الاعتبارات التي نظر من خلالها علماء النحو والبلاغة والأصول والنقد إلى المعنى"[1]، وما يمكننا أن نستنتجه من قولها هذا أنها نظرت إلى الخطاب الصوفي من خلال فعل الشعور في الكشف عن استعمالات اللغة تحصل المعرفة، ومن تم أخذت الناقدة في خاتمتها بطرح بعض الحالات الشعورية للصوفيين والتي كانت لها خلفية معرفية بهم مسبقا أمثال الحلاج وابن العربي والنفري...الخ، لكن في البحث عن دور اللغة وعلاقاتها بالتصورات الذهنية وبالشعور فكان ذلك كمدخل للعرفانية الصوفية.

[1] امنة بلعلى: سمياء الأنساق، ص 221.

المبحث الثاني: المعرفة بالمناهج النقدية المعاصرة لدى الناقدة

إن الأدب يحتوي نصوصًا تحتاج دائما لإضاءة تزيل وتكشف المناطق المعتمة وما يلزم ذلك عملية تشريحية تفكيكية قائدها هو الناقد في دائرة تسمى العملية النقدية ونقصد ب: "العملية النقدية بوصفها فعالة تهدف إلى استكناه عالم الخطاب الإبداعي في مستوياته الأسلوبية والتركيبية والدلالية على ركيزتين هما الرؤية التي ينطلق منها الناقد، المنهج الذي يتبعه للوصول إليه"[1]، فلا يمكن لأي عملية نقدية أن تكون بدون ناقد وهذا الناقد في طريقه للدراسة يتبع منهجا معينا تقتضيه طبيعة المادة التي يطبق عليها، فإننا عندما نقل عملية نقدية بالضرورة فهي تلزم نص للنقد و ناقدا و منهجية يتبعها الناقد في تحليله للنص، وهذا المنهج هو السبيل للوصول إلى النتيجة المطلوبة وإن المادة المراد دراستها هي التي تفرض على الناقد أن يتبع منهج معين.

وفي هذا المبحث الموسوم ب"المعرفة بالمناهج النقدية المعاصرة لدى الناقدة" فإننا سنحاول عرض أهم المناهج النقدية المعاصرة تنظيرا بالإضافة إلى الخلفية المعرفية للناقدة بهم، وكيف استثمرت معرفتها بهم في مدوناتها النقدية.

لقد اخترنا عرض نظري للمنهج مع ذكر رؤية الناقدة إن وجدت وكذلك الخلفية التي مكنتها من تكوين هذه المعرفة واستثمارها بما يخدم مشاريعها النقدية، فمعرفة آمنة بلعلى والتي تعتبر من بين النقاد الجزائريين المتخصصين في المناهج المعاصرة لتحليل الخطابات الأدبية من أجل استنطاقها من الداخل، وسنعرض استغلالها لهذا الزاد المعرفي وكيفية تطبيقها إجراءات تلك المناهج كما نتطرق بالتفصيل لمنهجها المتبع في الكتاب الذي نحن بصدد التطبيق عليها، ونحن في محاولة لعرض المعرفة النقدية لها بالمناهج المعاصرة وكيف ساهم ذلك في قراءة التراث العربي وجدنا تميز آمنة بالتنوع في الإنتاج النقدي، واستوقفتنا العديد من الدراسات أو المؤلفات

---

[1] عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990 ص5.

النقدية، والتي سبق وأن استغلت فيهم آليات النقد المعاصر ومن بينهم كتاب "تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" فقد فككت الناقدة فيه أهم الخطابات التراثية وهو الخطاب الصوفي استنادا إلى منظور منهجي معاصر وكتاب" خطاب الأنساق" أيضا، تمكنت الناقدة من امتلاك هذه الخلفية وانفتحت بذلك على أثرى الخطابات النقدية وفي مثل هذه المدونات يصعب على الباحث أن ينسق بين ما هو تراثي وما هو حداثي، لكن آمنة بلعلى عرفت كيف تزاوج بينهما – الخطابات التراثية و المناهج المعاصرة- فحافظت على خصائص تلك النصوص لتخرج منها انساقا عكف عنها الدارسون بل أنها نقدت ذلك التكرار وإعادة نفس الكلام المعتاد والدراسة التاريخية والسطحية حولها والأحكام غير معللة والتي ليس لها تبرير لكيفية اشتغال المعنى في الخطابات التراثية، لذلك يمكن القول أنها تناولت مدونات الخطابات التراثية بطريقة مميزة ومختلفة، وكل ذلك لم ينشأ عبثا بل كان لها تصورات عديدة حول المناهج اتكأت عليها لتوفير هذا الكم الهائل من الانتاج النقدي.

وبداية لقد تبلورت المناهج النقدية واتخذت مسارين في توجهها لدراسة النص وقد نم تقسيمها إلى قسمين أولهما مناهج سياقية وهي تلك المناهج التقليدية التي كان لها صدى كبير في زمن مضى تتخذ من الظروف المحيطة للنص مبدأ في اشتغالها النقدي فنجد منها (المنهج التاريخي، الاجتماعي، النفسي...الخ)، وثانيهما تلك المناهج الحديثة التي سميت بالمناهج النسقية أو النصانية، والتي تبحث في ثنايا النص (كالمنهج البنيوي، التأويلي، التداولي، والسيميائي...الخ) وما يهمنا الآن هو الحديث عن تلك المقاربات النقدية بآلياتها الحديثة التي قد ابتعدت عن البحث في حقيقة النص وتاريخه وظروف نشأته في توجه نقدي للاهتمام بالنص كبنية مكتفية بذاتها.

فقد أدرك النقاد والباحثون المعاصرون مدى قصور المناهج التقليدية أو ما تسمى بالمناهج السياقية في الكشف عن معنى النصوص وخباياها، فكان لابد من الخروج من قوقعة الإطار الخارجي في دراسة النصوص، فتركيز الأولى كان على الظروف المحيطة التي شكلت النص

وبنائه الخارجي بالرغم من أن كل منهج وآلياته إلا أنها لم تعد كافية لتفسير النص، سيطرت تلك المناهج لفترة ما أو في عصور متفاوتة من الزمن لكن مع تطور آليات البحث والتحليل والتنظير ومع متطلبات العصر الحديث ظهرت مناهج نقدية معاصرة تسعى إلى نقد النص من داخله فاهتمت بتأويل الخطابات التراثية وتحليلها من الداخل للكشف عن أنساقها بآليات وإجراءات جديدة ومن هذه المناهج:

المنهج النقدي البنيوي:

إنه وقبل الحديث عن البنيوية كمنهج نقدي نسقي حديث، لابد لنا أن نفتح قوسا حول الخلفية المعرفية التي استندت إليها في طرحها النظري ألا وهي اللسانيات باعتبارها المنطلق الأول لمجموعة المناهج الحديثة، وهذا ما أكدت عليه آمنة بلعلى في قولها:" اللسانيات كانت المتكأ النظري لعدد من المناهج كالشكلانية الروسية والأسلوبية والبنيوية والسيميائية الفرنسية (المستلة من لسانيات دو سوسير) "[1]، فقد كانت أطروحة سوسير إحدى روافدها بالإضافة إلى: " أنثربولوجية ليفي ستروس، ونفسانية بياجي، وجاك لاكان، وحفريات ميشال فوكو التاريخية والمعرفية وأدبية رولان بارت...."[2]، فقد أكد النقاد أن ما جاء به سوسير في اللسانيات (علم اللغة) كان رافدا أساسيا في ظهور المنهج البنيوي وبعض البحوث التي جاء بيها ليفي ستروس ورولان بارت، وآخرون وعلى العموم فنحن لا نحاول التأصيل لهذا المصطلح فقط سنحاول أن نعرف المنهج البنيوي في مضمار النقد الأدبي وأهم اجراءاته في دراسة الأعمال الأدبية.

يقول يوسف وغليسي في مفهوم البنيوية باعتبارها منهج نقدي : "أن البنيوية منهج نقدي داخلي يقارب النصوص مقاربة آنية محايثة، تتمثل النص بنية لغوية متعالقة ووجودا كليا قائما

---

[1] آمنة بلعلى، عبد الله العشي : فقه الشعر، ص 46.

[2] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها، وتطبيقاتها العربية، جسور، ط1، الجزائر، 2007 ص63.

بذاته، مستقلا عن غيره"[1]، فالمنهج البنيوي نسقي يقوم بمقاربة داخلية في اللحظة الآنية ويقصد بأنه يقوم على المحايثة هنا أنه ينظر إلى النص في ذاته منفصلا عن أي شيء خارجه.

لقد خلَّص المنهج البنيوي الدراسات النقدية من الاعتقادات السابقة من وجوب وجود علاقة الأدب بالمجتمع أو بالأديب من حقائق ثابتة وإلزامية الناقد في دراسة ذلك وهذا ما أكده صلاح فضل في قوله: "لم تعد هناك حقيقة جوهرية فلسفية ينشدها المبدع بكتابته و ينشدها الناقد بتحليله لهذه الكتابة إنما كان المبدع حريته في أن يرى ما يراه لا يفعل ذلك إلا عبر قوانين المنطق ومجموعة الرموز المتماسكة في الأعمال الأدبية"[2]، ويقصد بقوله أنه قد تغيرت مهمة الناقد المعاصر إلى البحث عن لغة الكتابة، ومدى تماشيها مع العصر الذي يعيشه، فلم يعد الناقد بصدد اختبار الحقيقة التاريخية للنص أو علاقته بمجتمعه.

وفي حديثنا عن المنهج البنيوي وتشكله لابد لنا من الإشارة إلى أهم المصطلحات التي تنطلق منها البنيوية في تأسيسها فنجد مصطلح البنية لذلك سنعرفها بأنها " نسق من العلاقات الباطنية (المدركة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء) له قوانين الخاصية المحايثة من حيث هو نسق يتصف بالوحدة الداخلية والانتظام الذاتي."[3]، إذن فالبنية هي أحد المصطلحات التي شكلت المنهج البنيوي وهي كما عرفت نسق من التحولات الداخلية التي تمس النص، مع صفة المحايثة التي ترى النص بنية مغلقة كما لها خاصية الانتظام الذاتي، فهي تنظم أجزاء النص بذاتها وتتصف بالكلية والشمول لجميع عناصر النص.

كما "تنطلق البنيوية في نقدها للأدب من المسلمة القائلة بأن البنية تكتفي بذاتها ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى عنصر من العناصر الغريبة عنها أو عن طبيعتها، والنص الأدبي النثري أو

[1] يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص71.

[2] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريث للنشر، ط1، القاهرة، 2002، ص 94.

[3] إديت كريزويل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت، 1993، ص 413.

الشعري هو بنية تتكون من عناصر تخضع لقوانين تركيبية تشد أجزاء الكيان الأدبي"[1]، وهذا القول تأكيد لما سبقه، فقد اعتبرت البنية إحدى المسلمات التي انطلق منها المنهج البنيوي في ممارسته النقدية وانطلاقا من كون النص يتكون أصلا من بنية تشمل مجموعة من العناصر مترابطة فيما بينها و تنظم ذاتها بذاتها.

أما عن النقد البنيوي فقد انطلق أصحابه من مقولة أساسية مفادها " أطلق البنيويون شعار موت المؤلف لكي يضعوا حدا للتيارات النفسية والاجتماعية في دراسة الأدب ونقده"[2]، فاعتبرت هذه المقولة كمسلمة مطلقة فلا بد من عزل الدراسة النقدية عن المؤلف. فالنقد البنيوي إذن يحكم في مقاربته للنصوص على آليات لابد لنا من الحديث عنها

وفي آلية النقد البنيوي وهدفه من دراسة النص يقول صلاح فضل: " يظل هدف البنيوية هو الوصول إلى محاولة فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية ودراسة علائقها وترابط العناصر المهيمنة على غيرها وكيفية تولدها ثم . وهذا أهم شيء . كيفية أدائها لوظائفها الجمالية والشعرية على وجه الخصوص"[3]، ويقصد هنا بالمستويات اللغوية الصوتي والصرفي والتركيبي، الدلالي البلاغي والمعجمي فيما تنتجه من ترابط وانسجام فيبحث الناقد هنا في بنية النص اللغوية ومدى قدرتها على أداء وظيفتها الأدبية الفنية والجمالية للكشف عن أدبية الأدب.

وعودة إلى الخلفية الابستيمولوجيّة للناقدة عن المنهج البنيوي فقد وظفته في العديد من مؤلفاتها وأبرزها خطاب الأنساق حيث تحدث فيه مطولا عن هذا التوجه النقدي تقول آمنة بلعلى عند وقوفها على الدراسات النقدية البنيوية "راح النقاد يحاولون إثبات سلطة النص والدعوة

[1] ينظر إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، 2003، ص 95.

[2] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 98.

[3] المرجع نفسه، ص 98.

إلى النسق المغلق وإهمال السياق والمؤلف وكل ما يفترض المعنى مسبقا"[1]، فإن طرح آمنة بلعلى هنا يعود الى مجموع الدراسات التي قامت بها وقد استندت على مقولات النقاد العرب أيضا حيث عرضت الطرح النظري لخالدة سعيد وهي من الرواد في تلقي الشعر وذلك من خلال كتابها حركية الابداع، وكذلك اتكأت على دراسات كمال أبو ديب من خلال كتاب تجليات الحداثة، وكتاب دراسات في بنية القصيدة الحديثة، وكذلك ما قدمه صلاح فضل في كتابه نظرية البنائية في النقد العربي، وفي دراستها ونقدها لهذه المؤلفات نلاحظ تمكن الناقدة من المنهج البنيوي وأنها على دراية واسعة به فككت مختلف المؤلفات حول البنيوية وعرضت أفكار أعلام هذا المنهج كذلك عادت إلى نظرية ليفي ستروس وبارت ووظفت من أقوالهما التي وظفت في كتب هؤلاء الأدباء لتأكد صحة طرحها وكذلك لتأكد على وجود معرفة نقدية عربية حول البنيوية، كما قد أشارت في كتابها في تحليل الخطاب الصوفي مدى تنوع آليات التحليل بالمناهج المعاصرة، وقد اتخذت من المنهج البنيوي ونظرية التلقي والسيميائية في تحليلها منطلقا تجاوز من خلاله المناهج التقليدية وما يؤكد هذا قولها: " ولا أعتقد أن أحدا حاول أن يتجاوز هذا الطرح التقليدي في تحليل الشعر الصوفي مع الكثير الذي يمنحه المنهج البنيوي والأسلوبي ونظرية القراءة من آليات لرصد ظواهر مثل التفاعلات النصية في الخطاب الصوفي وتحليلها"[2]، حيث قد توجهت آمنة بلعلى إلى مختلف آليات المناهج المعاصرة وتوحيدها كي تكشف من خلالها البنى النصية والمظاهر الخطابية وكيفية تشكل المعنى في الخطاب الصوفي خاصة، أما عن استثمارها لهذا المنهج في الكتاب فهو شبه منعدم لأنها حاولت الابتعاد قدر المستطاع عن عيوب الدراسة المحايثة للخطاب وتجاوز النظرة البنيوية الشكلية المكررة في قراءة التراث العربي على اختلاف مشاربه.

---

[1] آمنة بلعلى: خطاب الأنساق، الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت_ لبنان، 2014، ص 14.

[2] آمنة بلعلى: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص 8.

التداولية:

تعد التداولية من الحقول الجديدة التي تهتم بدراسة استعمال اللغة في سياق معين وتهتم أيضا بالمعنى، يقول جورج يول "التداولية هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم" [1]، أي أنها تخص بدراسة المعنى الذي يعنيه المتكلم كما أنها تختص ب "دراسة المعنى السياقي"[2]، وهذا يعني أنها تهتم بدراسة ما يعنيه المتكلم وفق السياق الذي جاء فيه القالب اللغوي كما أن التداولية " هي دراسة كيفية إيصال أكثر ما يقال"[3]، تعتبر التداولية أحد تفرعات ومباحث الدرس اللساني الحديث وهي تيار لساني يهتم بدراسة القوانين الكلية للاستعمال اللغوي كما و يعنى بدراسة علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وكيفية استخدام العلامات اللغوية والسياقات التي تنجز هذه العلامات ضمنها.

ثم إن مجال اشتغال البحث التداولي يعنى بدراسة استعمال اللغة من حيث كونها تهتم بدراسة كيفية استخدام الناس للغة في أحاديثهم وتبحث في مقاصدهم، وأغراض كلامهم، فالمعنى لا يستقى من البنية الشكلية وحدها وإنما من الجانب السياقي لها أيضا، حيث يشير مسعود صحراوي في تعريفه لها بقوله:" التداولية ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، ومن ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل الللغوي"[4]، وهذا معناه أن التداولية ليست هي ذلك العلم الذي يهتم باللغة ويدرسها في حيزها الضيق لذاتها ولأجل ذاتها، بل إنها العلم الذي به يمكن للدارس أن يتجاوز حيّز الشكل اللغوي المجرد ليبحث في ظروف استعمالها ودلالاتها المتحكمة في انتاجها وفي علاقاتها بمستعمليها، ثم إن حديثنا عن التداولية يقتضي منا الإشارة إلى أن هذا العلم قد تجاوز حدود

---

[1] جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،بيروت، 2010م، ص 19

[2] المرجع نفسه، ص 19

[3] المرجع نفسه ، ص 19.

[4] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة (د. ط)، بيروت، 2005، ص16.

المعرفة الواحدة ليتقاطع مع علوم عديدة حيث" إنه من الصعب الحديث عن التداولية، لأن هذا التعبير يغطي العديد من التيارات من علوم مختلفة... وهي تشغل اهتمام المناطقة والسيمائيين والفلاسفة والسوسيولوجيين والسيكولوجيين والبلاغيين وعلماء التواصل واللسانيين"[1]، بهذا فلا يمكننا حصرها في سياق محدد كونها استطاعت أن تقتحم عديدا من الموضوعات على اختلافها كعلم النفس السلوكي، اللسانيات، السيمياء....

ولم يكن البحث التداولي حكرا على الدراسات الغربية فحسب وإنما نلحظ لذلك أثرا في الدراسات العربية قبل أن تظهر ملامحه لدى الغربيين حتى، وهذا ليس من باب التأصيل لتلك المفاهيم في تراثنا بقدر ما هو عرض للامتدادات المعرفية والأفكار الرائدة في الفكر العربي قديما حيث: "إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة ...ومن أهم مصادر التفكير التداولي اللغوي عند العرب، علم البلاغة، علم النحو، والنقد، والخطابة، إضافة إلى ما قدمه علماء الأصول الذين يمثلون إلى جانب البلاغيين اتجاها فريدا في التراث العربي"[2]، ومن هذا يمكننا القول أنَّ السبق في الاشتغال بالنهج التداولي كان من نصيب الدراسات العربية على اختلاف منابعها وتوجهات مفكريها.

وقد كان لآمنة بلعلى إشارة لهذا المجال من خلال كتابها "سيمياء الأنساق" وذلك في قولها :"ارتأينا أن نلتفت إلى بعض الإشارات الواردة في هذه الجهود نفسها والمتعلقة بارتباط المعرفة التراثية بمقتضيات المجال التداولي الذي نشأت فيه"[3]، وهذا على اعتبار من الناقدة أن أغلب المناهج النقدية الحداثية لها مصداقيتها في النقد العربي القديم، وقد تمظهر هذا المنهج في مختلف معارف التراث العربي من خلال دراسة الناقدة فالنحو والبلاغة والشعرية والأصول قد تأثروا بالتداولية، أي كان لكل هذه المعارف التي وردت في الكتاب كان لها بعد تداولي كشفته الناقدة

---

[1] خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص63، 64.

[2] المرجع نفسه، ص140.

[3] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص23.

من خلال اطلاعها على هذا المنهج واستثمارها لأطروحاته، وهذا ما أكده كتابها حينما تجاوزت منوال (الشكل، المعنى) إلى نطاق أوسع ارتبطت فيه الدلالة بالذات المتكلمة واعتبار سياق الكلام الذي أنتجت فيه، كذلك دور المخاطب في إيصال المعنى للمتلقي، من أجل الوصول إلى القصد الدلالي من الكلام، أي عملية التأويل الذي سيقوم بها المتلقي، فإن معظم ما جاء في الكتاب من معارف طرحتها آمنة بلعلى قد ارتبطت بالمجال التداولي وكان القصد من ذلك هو الخروج من دائرة المحايثة إلى مراعاة السياق و قصد المخاطب والتركيز على الجانب الإتصالي في تلك القضايا، والمجال التداولي باعتباره أحد مباحث السيميائيات ساعدها في تفكيك هذه المنظومة.

المنهج التأويلي

إن الحديث عن التأويل كمصطلح واسع يتماهى ويستوعب كل النصوص بالدراسة والتحليل يعرفه نصر حامد أبو زيد " أن مفهوم المصطلح قد اتسع في الفكر الحديث، فصار يتناول إلى جانب النصوص الدينية عمليات التأويل المعروفة في العلوم الإنسانية كالتاريخ، و علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلم الجمال والنقد الأدبي والفلكلور، وأصبح التأويل فعل قراءة لأي ظاهرة تاريخية أو فلسفية أو أدبية أو سياسية أو اقتصادية بناءاً معقدا من العلاقات التي تتضمن عناصر الذات والموضوع والسياق وسنن العلامات والرسالة"[1]، وهذا يعني أن نصر حامد قد اعتبر التأويل فعل صالح لتطبيقه على كل المجالات بما فيها من سياقات وعلامات قابلة لعملية التأويل.

والتأويل مثله مثل أي نظرية سابقة تتحول معطياتها لتصبح منهج ثم مقاربة نقدية لذلك سنختصر التنظير حول المنهج التأويلي والمقاربات التي تمت به بعرض رؤية شاملة قد تطرقت لها الناقدة آمنة بلعلى والتي استثمرتها في مؤلفاتها النقدية تقول في هذا الصدد: " إذا كان دعاة التأويل في الغرب قادوا أنفسهم في رحلات فكرية داخل تاريخهم بحثا عن الجذور الخفية لأشكال التأويل التي مارسوها واستنبطوا منها أشكالا يرونها صالحة، فإن الناقد العربي بإمكانه ذلك

[1] ينظر نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م، ص 176.

ليستثمر أشكال التأويل المختلفة لمقاربة الشعر خصوصا"[1]، تعرضت الناقدة لمختلف أشكال النقد التأويلي لدى الغربيين فعرضت بالترتيب لجهود كل من غادامير ومساهمته في الفهم وبول ريكور وأمبرتو إيكو وإيزر، فالناقدة كما أشرنا سابقا لا تتغاضى عن المعرفة الغربية وجهود النقاد في تطور المناهج النقدية، لكن لا يخفى وجود اشتغال العرب على التأويل بقولها: "باعتباره وسيلة للكشف عن المعاني وتأويل المتشابه من القرآن الكريم خصوصا"[2].

واستخلصت الناقدة من دراساتها أن للعرب دور في صوغ قواعد التأويل " أنهم فرقو بين ما يؤول وأدركوا من أبرز قوانين التأويل تلك التي تخص كل ثقافة، وهذا يعني أنه بإمكاننا الحديث عن تأويل عربي هو الوسيلة الوحيدة التي تمكننا من الحديث عن نقد عربي لشعر عربي نجد آلياته وحدوده في البلاغة العربية والكتابة الصوفية التي هي رؤية للعالم"[3].

كما نلاحظ في نفس المدونة نقصد خطاب الأنساق تطرقها للتأويل في بعض النصوص الشعرية وهذا ما يدل على تمكن الناقدة من هذه الآلية تنظيرا وتطبيقا، ونلتمس في كتابها الحركة التواصلية في الخطاب الصوفي أيضا بعض المشاهد لآلية التأويل والتي كشفت من خلالها عن التجربة الصوفية بالتعرض لرموزها بالشرح والتأويل لتكشف عن مظاهر الستر والاخفاء في الخطاب الصوفي فتقول" وتستخدم منها آلية على درجة عالية من العمق للكشف عنها وهي آلية التأويل التي تسهم بلا شك في دمج الذات المتلقية ضمن عملية بناء المعنى"[4]، وهنا رسخت الناقدة مفهوم التأويل كآلية نقدية تجمع بين المتلقي والخطاب كذات قادرة على تكوين بناء للمعنى.

وفي كتاب سمياء الأنساق تدمج آمنة بلعلى بين السيمائية والتأويلية على اعتبار أن التأويل أحد المفاتيح للعبور إلى السيميائية، فقد استطاعت استثمار المفاهيم النظرية الغربية والعربية

---

[1] ينظر آمنة بلعلى، خطاب الأنساق، ص 29

[2] المرجع نفسه، ص 33.

[3] المرجع نفسه ، ص 35.

[4] آمنة بلعلى: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د. ط)، دمشق، 2001م، ص 58.

وتوظيفها بما يتماشى وبحثها في أنساق الخطابات التراثية وحتى المعرفة الدينية رغم أنها اعتبرت القرآن مجموعة من العلامات إلى أنها تستخدم آلية التأويل لتكوين تلك الصورة السيميائية وتأكد هذا بعد عرضها لمختلف الآيات القرآنية في خدمة مشروعها بقولها" هذه الأبيات تسمح بتكوين رؤية سيميائية شاملة عن طريق إدراك العلامة، حيث تبرز علاقة الإنسان بالعلامات من خلال الإستدلال والتأويل"[1] وهذا كمثال بسيط عن عملية التأويل التي آلت إليها الباحثة ففي محطات عديدة جمعت الناقدة بين مختلف آليات تحليل الخطاب لتتمكن من تفكيك الخطابات التراثية وتكشف عن تشكلات المعنى.

نظرية التلقي:

مع التحولات والتطورات التي شهدها النقد الأدبي المعاصر، وظهور مناهج نسقية تهتم بالنص باعتباره بنية مغلقة حتى أهملت كل الجوانب السياقية وحتى القارئ للنص، تنحو نظرية التلقي منحى مغاير للدراسات البنيوية حيث كسرت ذلك الحاجز الذي وضعته الدراسات المحايثة بين المتلقي والنص ويعرفها روبرت هولب بقوله:" يقصد بالتلقي تلقي الأدب، أي العملية المقابلة لإبداعه أو إنشاء كتابته، تشير إجمالا إلى ذلك التحول في الاهتمام إلى النص والقارئ، ونظرية التلقي هي ثمرة جهد جماعي كان صدى للتطورات الاجتماعية والفكرية والأدبية، وهيمنت على الساحة النقدية خلال النصف الثاني من العقد السابع و خلال العقد الثامن من هذا القرن"[2] ومن هنا برزت نظرية التلقي في إطار الدراسات ما بعد البنيوية فقد جاءت كردة فعل على الدراسات النصية التي أعلت من سلطة النص، فكان لابد من ظهور اتجاه جديد يحتفي بالقارئ الذي يبرز دوره انطلاقا من عمله في الكشف عن الأبعاد الفنية والجمالية الموجودة في النص والتي تشكل أنساق مضمرة.

---

[1] ينظر آمنة بلعلى: سمياء الأنساق، ص 28.

[2] ينظر روبرت هولب: نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، 2000م، ص 09-10.

وفي هذا السياق يشير إبراهيم محمود خليل الى الدراسات الغربية فيقول " عدت مدرسة كونستانس الألمانية أول تجمع نقدي يلتفت إلى القارئ عوضا النص الذي يعدّ في نظر البنيويين بنية مغلقة، مكتفية بذاتها، وأطلق هانز روبرت ياوس على هذا النقد " جماليات التلقي" وتقوم على القارئ هو المستهدف في أي عمل أدبي ولا قيمة لذلك العمل إلا في أثناء قراءته"[1]، يعد هانز روبرت ياوس أحد النقاد الذين اتخذوا من نظرية التلقي آلية في تأويل النص انطلاقا من جعل القارئ مفتاح تلك الانطلاقة.

هذا وقد ظهرت العديد من الدراسات العربية تستند في نقدها على هذه الآلية وأغلبها كانت تلك الممارسات النقدية على المدونات التراثية فقد" رأينا عددا من النقاد يعيد النظر في تراثنا الأدبي من زاوية الحرص على تقديم قراءة جديدة لبعض ذلك التراث، ونلفت النظر هنا إلى دراسة وهب رومية للشعر العربي القديم في ضوء النظر النقدي الجديد ولمصطفى ناصف محاولات جادة سعى فيها إلى إعادة النظر في الشعر"[2]، بالإضافة الى ما ذكره صاحب الكتاب حول الدراسات العربية التي اهتمت بنظرية التلقي في تقصي التراث الأدبي، فإننا نجد الدراسات النقدية التي قامت بها آمنة بلعلى وأهمها كتاب "سيمياء الأنساق" والذي كان بمثابة قراءة التراث الأدبي ومحاولة الكشف عن تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، نبشت الناقدة في تراثنا النقدي مؤكدة أن نقادنا العرب قديما سبقوا الغربيين إلى الكلام عن التقبل وأفق القراءة أمثال الجاحظ، والجرجاني...

وما يؤكد هذا الطرح قولها:" بدءا من القرن الرابع حصل التحول من الدراسة المحايثة اللغوية والحديث عن طرق القول وعن الجمل، إلى دراسة الخطاب ولبحث عن أثره في المتلقي ويمكن أن نلاحظ في هذا القرن وعيا بالمنطق الذي تتشكل به الصورة المجازية ودور المتلقي

---

[1]ينظر إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، ص 120.

[2]المرجع نفسه، ص 126.

في الكشف عن الحركية التي تقام داخل الصورة"[1]، على غرار البعض من الباحثين الذين يرون في النقد الغربي منطلق دراساتهم تأتي آمنة بلعلى وتكسر أفق التوقع حيث بحثت في الخطابات النقدية التراثية وكشفت وجود نظرية التلقي منذ القرن الرابع أي منذ أن تحدث الجاحظ في كتابه البيان والتبيين وكذلك رسائل الجاحظ ومجموعة من مؤلفاته عن دور المتلقي في الكشف عن أدبية النص انطلاقا من بحثه في كيفية تشكل الصور المجازية في النص، كما لاحظت الناقدة نفس المنطق الذي تحدث عنه الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة حول الأثر الذي تتركه الصور المجازية أو التشبيهية في المتلقي لتتركه في عملة تفكيكية على حد قولها " قائمة على الارجاع والمقارنة بين السمات المشتركة التي حدثت من خلالها المشابهة"[2]، وتقصد بقولها أن القارئ هو الذي يؤول ويكشف عن كيفية حدوث النسق المجازي، أي أن الناقدة تعي جيدا ما تقول فخلفيتها المعرفية بالخطابات التراثية كذلك بالمناهج المعاصرة جعلها تجمع بين الخطاب التراثي والمنهج الحداثي فكشفت لنا ما يحتضنه التراث النقدي من نظريات سبقت الطروح الغربية وبفضل هذه القراءة النقدية نستطيع أن نلخص أن تراثنا العربي غني بالمعارف فقط لابد من أن نؤمن بوجودها.

المنهج السيميائي:

حدد سوسير موضوع اللسانيات في دراسة العلامات اللغوية، لكن باعتبار الكون كله علامات كان لابد من ظهور علم يؤولها أي يدرس العلامات اللغوية وغير اللغوية وأطلق على هذا العلم بالسيميائيات، ظهر هذا العلم في مختلف الميادين لتكون رافدا لمختلف المجالات وقد انكب مجمل الباحثين والمختصين في الدراسات السيميائية لتطوير آلياتها لتغدو بعدها منهجا نقديا يبحث في تشكلات المعنى و مختلف أشكال وجوده.

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 116.

[2] المصدر نفسه، ص 117.

تعددت المصطلحات واختلف النقاد في تسميتهم للسيميائية فكما أشار صلاح فضل بقوله "تعدد المصادر الثقافية في اطلاق الكلمات الدالة ابتداء من الاسم العلم"[1]، و ذلك منذ أن أطلق عليها مصطلح السميولوجيا من قبل العالم الفرنسي فردينان دوسوسير ومصطلح السيميوطيقا من قبل الناقد الأمريكي شارل سندرس بيرس، لكن بالرغم من هذا الاختلاف في التسمية إلا أن نشأتها كانت بإسهامهما معا " حيث درس سوسير العلامة اللغوية ووضع خواصها الأساسية ورأى أنها تندرج في منظومة أكبر وهي العلامات بصفة عامة وكانت اشارات سوسير إلى المحاور الاستبدالية والتركيبية والعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول وهي العلامات في المجتمع أسره"[2] وعلى هذا فإن سوسير الذي ذكر أنه تنبأ بهذا العلم منذ وضع محاضراته حول الألسنية العامة أي بوجود علم سوف يدرس حياة العلامة داخل الحياة الاجتماعية، ونظرة بيرس الذي يؤسس لها عن طريق تحليله لأنواع العلامات الموجودة في الكون" يؤسس السيميولوجيا بتحليله لأنواع العلامات المختلفة وتميزه بين مستوياتها المتعددة يحدد الفروق بين الاشارات وهي المتجاورة في المكان مثل السهم الذي يبصره مشيرا إلى مكان معين ومثل حركة الاصبع عندما تشير إلى شيء أمامها "[3]، كل هذا عبارة عن تنظير وانطلاقة رسمية لأبرز اتجاهات السيميائية.

ثم أخذ النقاد ببلورة هذه المفاهيم النظرية السيميائية ليؤسسوا منهجا معاصرا في دراسة الظواهر الأدبية فانتشر هذا التوجه في الدراسة " خاصة في فرنسا عن طريق ثلة من النقاد يأتي في طليعتهم رولان بارت، جوليان غريماس، جوليا كريستيفا، جينات وغيرهم"[4]، لذلك كن لابد من وجود منهج يؤول ويبحث في معنى الأشياء والظواهر وكل العلامات اللغوية وغير اللغوية ومنهجا

---

[1] صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص 123

[3] المرجع نفسه، ص123.

[4] يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألنسنية ، اصدارات رابطة ابداع الثقافية، (د. ط)، 2002م ، ص 133.

في دراسة النصوص الأدبية وتأويلها رغم اختلاف آليات الاشتغال إلا ان الهدف واحد وهو البحث في كيفية اشتغال المعنى وتشكله أي أن الهدف من اي مقاربة سيميائية كان هو دراسة المعنى.

نعود ككل مرة لنؤكد غلى خلفية الناقدة واستثمارها للمنهج المعاصر في تحليل الخطابات التراثية، تقول آمنة بلعلى أنه:" بعد التطور الهائل في المناهج أوقفني على الإشكاليات التي تثيرها التسمية، فالسيميائية سيميائيات، وكذلك الأسلوبية وغيرها"[1]، فقد أدركت الناقدة مدى شمولية المناهج حيث يصعب على الباحث اتخاد منهج واحد للدراسة على أي منجز نقدي، وهذا ما جعلها دائما تنادي بضرورة اتخاد منهج شمولي، رغم أنها تؤكد بكل تواضع عدم إدراكها الكلي به، لكن مع الكم الهائل لآليات التحليل كان ذلك الحل الوحيد للناقدة وهو الالمام بمجموع المناهج لتنظر إلى الخطاب الأدبي بعيدا عن الحيادية فتتمكن من الوصول الى قراءة لا نهائية.

كما برهنت بهذا على أنه من أجل قراءة التراث العربي والبحث في آليات تشكل المعنى في كتابها الموسوم ب: "سيمياء الأنساق تشكلات المعنى في الخطابات التراثية" لابد وأن تركز على منهج واحد يمكنها من رصد الأنساق وتأويل الخطابات وهو المنهج السيميائي، وقد انحازت الناقدة في هذه الدراسة إلى التطبيق أكثر منه إلى التنظير ما جعل دراستها مميزة، وما قامت به في هذا الكتاب محاولة جادة لطرح تصور حول الخطاب التراثي وخصوصيته، فالدراسات السابقة التي اشتغل عليها المنهج السيميائي كانت محصورة في مفاهيم المنهج السيميائي وكيفية تطبيق آلياته على النصوص الأدبية، ومقارنة بما قامت به الناقدة هنا فهو بعيد عن ذلك كونها اختارت خطابات واصفة على حد قول عبد الله لعشي في تقديم الكتاب " ما يمكن تسميتها بالخطابات ما فوق أدبية، وما فوق لغوية، فالنحو والبلاغة والأصول والنقد هي خطابات لم يجر عليها الاشتغال السيميائي عليها كما هو الحال في النصوص الأدبية، نثرا وشعرا، و اختيار الكاتبة لهذه العلوم الواصفة هو انتقال موضوعي ومنهجي يوسع دائرة الموضوع والمنهج معا"[2]، أي إنها تمكنت

---

[1] آمنة بلعلى: تحليل الخطاب الصوفي، ص 12.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 9.

من آلية تحليل الخطاب الواصف لتركز على الفكر السيميائي، ولم تقم الناقدة بذلك دون وعي منها بل إنها تقف في محطات عديدة من الكتاب وتبرر اعتمادها على المنهج السيميائي دون سواه، ودون العرض النظري له إلا أنها توضح كيف تشكل لها هذا الوعي بالمنهج وتطبيقه فهي تشير في البداية بأنها قد رأت فيه منهجا واسعا يتقاطع مختلف العلوم ونجد ذلك في قولها في أحد المقالات، "إن السيميائية اليوم تنفتح على المجتمع والتاريخ والعلاقات شرق غرب و العولمة بنفس القدر الذي هو انفتاحها على النص والاشهار والصورة والارهاب والاقتصاد والجسد والروائح والمرئي وغيرها مما لا يعد"[1]، ما يصعب تخصيصه في وجهة محددة أو خطابات معينة، لكن بعد اطلاعها لأفكار أمبرتو إيكو استطاعت الناقدة الاطمئنان لفكرة أن للسيميائيات وجهين وجه عام ووجه خاص يرى في التراث انساقا سيمائية خاصة فتقول: "تجعلنا ننظر إلى الأنساق التراثية على أنها مجموعة من الأنحاء أو السيميائيات الخاصة"[2]، ومن خلال هذه النظرة انطلقت الناقدة في استخدام آليات هذا المنهج في دراسة المدونات النقدية التراثية وتفكيكها باعتبارها خطابات واصفة بالدرجة الأولى تقول آمنة بلعلى " اعتمادنا على السيميائيات التي تقدم لنا الجهاز الواصف المتكامل القادر على استخلاص طبيعة التفكير في العلامات وفي أوجه الدلالة وطرائق اشتغالها وصناعة النماذج عند علمائنا خاصة إذا انطلقنا من بديهية أن هذا التفكير كان حول النسق اللغوي"[3] تصرح الناقدة أن اشتغالها اللغوي حول الأنساق التراثية كان ضمن منهج سيميائي محض هذا فعلمها بهذا المنهج مكنها من قراءة التراث قراءة نسقية و استخراج الدلالات من الخطابات التراثية و تأويله باعتبارها انساقا دالة، فتؤكد هنا أن الاجراءات السيمائية ليست فقط للبرهنة على قدرتها في استنطاق النصوص من الداخل بل إن الاستدلال بها كان من أجل التأكيد على غنى تراثنا الإسلامي بخصائص سيميائية في أنساقه المختلفة.

---

[1] آمنة بلعلى: المداخل المفاتيح لسيميائية الأهواء، مجلة بحوث سيميائية، مجلد 6، عدد 9، تيزي وزو، 2016م، ص 77.

[2] آمنة بلعلى: سمياء الأنساق، ص 17_18.

[3] المصدر نفسه، ص19.

لقد جمعت الناقدة بين الفكر الغربي حول المنهج السيميائي والتراث العربي، وعرفت كيف تستغل أفكار النقاد الغربيين وتقاربهم مع أفكار علمائنا العرب، فكثيرا ما كونت معرفة انطلاقا بعض المفاهيم فنجدها تأخذ مفهوم بيرس للعلامة حينما قالت " حسم سندرس بورس الأمر حين رأى أن العلامة تمكن من التفكير والمعرفة"[1]، كما استغلت كتاب "السيميائيات وفلسفة اللغة" لأمبرتو إيكو في عرض شواهد كثيرة في الكتاب منها ما تزودت به للتفريق بين السيميائيات العامة والخاصة، كما استندت على طروحات غريماس في السيميائيات السردية بالتطبيق المباشر دون العرض النظري لها، وما طرحته جوليا كريستيفا عن إمكانية " أن تكون السيميائيات قادرة على فهم النص وتحولاته"[2]، فقد اعترفت الناقدة بجهود الناقدة الغربية في مجال علم النص ودراسته، كل هذه المعارف التي ذكرتها الناقدة لتستدل بها في قراءتها للتراث تكشف عن تمكنها من هذا المنهج وآلياته، كما وظفت العديد من المصطلحات السيميائية من بينها العلامة وتوضح أن الدرس العربي التراثي اشتغل بالعلامة لأنها أساس قيام البحث السيميائي إلا أنه لم يتم تشكيل مفهوم واضح ومميز للبحث السيميائي عن العرب ذلك أننا "نفتقد القدرة على التوصيف الفعلي لما أنتجوه، سواء على مستوى الموضوعات، أو على المستوى الإبستيمولوجي للتنظير وخاصة أن التوجهين يختلطان عند العرب، فما زال اهتمامنا بالتراث نتاج ردود أفعال على ما ينتجه الغرب أو تمرينات لتنظيراتهم"[3]، وهذا ما يعني على حد قولها أنّه لم يأت اهتمام الباحثين العرب بالمنجز التراثي العربي إلا بعد الاطلاع على المنجز النقدي الغربي رغم أن للعرب بحث من قبل في هذه المجالات وتراثنا غني بالمعارف.

تثير في مقدمتها "**وعي بالتراث النقدي**" إشكالية مهمة لابد أن نقف عندها ألا وهي أنَّ السيمائيات ليست بحكر على أحد ورغم ارتباط هذا المنهج بالدراسات الغربية إلا أننا يجب أن نفهم

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص 134.

[3] المصدر نفسه، ص 181.

شيء مهما وهو أنها موجودة في أي حضارة وقد تكون حضارتنا الإسلامية سباقة لها لكن التنظير للمنهج كان من حق الدراسات الغربية، ويبقى الإشكال هنا هو في كيفية تطبيقها لا غير، فقد اعتبرت آمنة بلعلى أن استخدام الباحثين العرب للمناهج النقدية الغربية بطرقهم دون إعطاء لمسة خاصة بهم هو عبارة عن تقليد أعمى لا غير، فلا يخفى أنها ذكرت هذه الفكرة سلفا في أحد مؤلفاتها بعنوان "خطاب الأنساق" بقولها:" من خلال أهم الممارسات النقدية المعاصرة للشعر العربي، وما أدعاه أصحابها من نزوع إلى العلمية والمنهجية والتوسل بطرائق الغرب، معتقدين بهذا التقليد أنهم يتجاوزون التقليد إلى التجديد والتحديث، دون أن يتفطنوا إلى ما في هذا المنهج من مخاطر النظرة التجزيئية والتفاضلية، التي جرّت النقاد إلى ضرب من التعارض بين التصورات النظرية وبين التطبيق"[1]، فحسب رأي الناقدة هنا أن الباحثين العرب في نقلهم للمناهج الغربية واستخدام آلياتها في اشتغالهم لبحثهم النقدي على أساس التجديد قد أوقعهم في تناقضات هم على غنى عنها فبين المعرفة النظرية للمنهج والتطبيق شتان وهذا ما أكدته مرة أحرى في قولها "نحن مطالبون بالحداثة والتحديث كضرورة معرفية وتاريخية وحضارية، ولكننا لسنا مطالبين أن ننسخ الغرب أو أن نشبهه في مناهجه النقدية، فالمنهج وسيلة نسبية لقراءة الظواهر الأدبية"[2]، فإنَّ لكل حضارة وخصائصها المعرفية وبذلك كان تطبيق الناقدة بالمنهج السيميائي فيما تملكه من معارف فريدة جعلها تتفرد بمدوناتها النقدية.

وفي الأخير يمكن القول أن لتمكن آمنة بلعلى من آليات النقد السيميائي وإلمامها بالأدوات الإجرائية أنها أستاذة متخصصة في النقد من جهة ثم استغلالها الجيد للدراسات الغربية ومحافظتها على المعارف التراثية وعدم اهمالها لجانب التنظير الغربي فيما استثمرت ذلك في ما يخص التطبيق بطريقتها الخاصة، فقد حاولت الباحثة في قراءتها للمعرفة التراثية من زاوية مختلفة وذلك لأنها بدراية بخصوصية التراث العربي فكما أشرنا سابقا أن تطبيق نظريات النقد السيميائي للمنجز

---

[1] آمنة بلعلى: خطاب الأنساق ، ص 13-14.

[2] آمنة بلعلى، عبد الله العشي: فقه الشعر، ص 42.

الغربي في التراث العربي يوقعنا في تناقضات عديدة لابد من الأخذ بمفاهيم غربية لكن مع محاولة استغلالها بشكل يتناسب مع الدراسة النقدية وخصوصية تراثنا العربي الاسلامي وفي دراساتنا لكتاب "سيمياء الأنساق" نستطيع أن ندرك جيدا مدى معرفة الباحثة بالمنهج السيميائي وقدرتها على تطبيقه كما نستنتج اعتمادها على مقولات التوجه السيميائي الفرنسي من زاوية معطياته النظرية، فهي تبدو على وعي كبير بالمنهج ومقتضياه، فقد وقفت الناقدة على أهم إنجازات المعرفة التراثية المتعلقة بالعلامة وكيفية تشكل المعنى سواء عند النحويين أو البلاغيين وحتى الأصوليين.

الفصل الثاني:

التصور الحداثي للقضايا النقدية في الخطابات التراثية لدى آمنة بلعلى

الفصل الثاني: التصور الحداثي للقضايا النقدية في الخطابات التراثية لدى الناقدة

المبحث 01: التصور السيميائي للقضايا النقدية لدى الناقدة (النحو_ البلاغة_ الشعرية _ الأصول)

المبحث 02: تشكلات الجهاز المفاهيمي في نقد آمنة بلعلى

الفصل الثاني: التصور الحداثي للقضايا التراثية في الخطابات التراثية لدى آمنة بلعلى.

تمهيد:

لقد كان لهيمنة الثقافة الغربية أثر كبير على الفكر العربي خاصة إذا تحدَّثنا عن مجال النقد ومدى تأثير النقد الغربي على وعي النقاد العرب، ما جعل هذا الأخير عاجزاً عن تفسير منطق النَّص العربي، فأسبقية الدراسات النقدية الغربية في التأسيس لمختلف المناهج والنظريات النقدية أنتج فكرة خاطئة عند العرب وهي وصف النصوص العربية بالتاريخية وذلك حسبهم راجع لطبيعة الثقافة العربية، في حين أنها فقط تفتقر التبرير والتحليل الدقيق لاكتشاف الأنساق المتوارية وراء عباءة التبعية الغربية التي أنتجت فكرا منغلقا لا يسعى للبحث في معرفته ومحاولة الكشف عن ما تخبأه من نتاج أصيل. إذاً فإنَّ ما توجهت إليه آمنة بلعلى محاولة لتحريك المياه الراكدة لأنها على وعي تام بأنَّ علماء العربية أنتجوا **معرفة** سيميائية بطرقهم الخاصة، وما على الناقد إلاَّ إعادة تأويل تلك الخطابات ومعرفة كيفية تشكل المعنى فيها، وقد اختارت في كتابها "سيمياء الأنساق" خطابات واصفة بالدرجة الأولى، لأنها رأت أنّ معظم الدراسات انصبت حول الشعر والنثر بأنواعه المختلفة، في حين أنَّ هناك خطابات ما فوق أدبية تحتاج التفكيك والتأويل لاستخلاص طبيعة وطريقة التفكير في العلامات وأوجه الدلالة وطرائق اشتغالها فيها، وكانت السيميائيات واجراءاتها السبيل لاستيعاب تراثنا العربي وخصائص سيمياء أنساقه المختلفة فهي انتقلت إلى البحث في الفكر السيميائي العربي بدءا من تصوره للعلامة ومن تم التأويل في تحليل منطق العلامة اللغوية ودلالاتها، فمثل هذه الخطابات الواصفة التي اختارتها الناقدة تحتاج أيضا للغة نقدية قادرة على فكّ شفراتها فكانت لغة اللُّغة مهداً لذلك فهي لا تريد وصف هذه الخطابات أو محاولة إعطاء مفهوم نظري لها بل تتجاوز بذلك اللغة العادية إلى لغة اللغة، لغة أخرى استطاعت من خلالها تأويل وتفكيك مجموع المعارف التراثية وهي (النحو، البلاغة والأصول، الشعرية) فطريقة انتقالها بين فصول الكتاب والبحث في تشكلات المعنى وأنساق المعرفة التراثية يكشف لنا خصائص لغتها

المتفردة، لذلك سنحاول إعطاء تصور سيميائي لهذه القضايا من وجهة الناقدة هذا من جهة وكذلك نبيّن الجهاز المفاهيمي الذي اتكأت عليه الناقدة لبناء مشروعها "سيمياء الأنساق" من جهة أخرى ليصبح قراءة نقدية تتباهى بها المكتبة الجزائرية خاصة والعربية عامة.

المبحث 01: التصور السيميائي للقضايا النقدية في الخطابات التراثية لدى الناقدة(النحو_ البلاغة_ الشعرية_ الأصول).

سنعرض في هذا المبحث الأول تجليات أو مختلف التصورات ومظاهر التفكير السيميائي في الخطابات التراثية برؤية حداثية لدى الناقدة آمنة بلعلى.

النحو كموضوع سيميائي:

لقد تحدثت آمنة بلعلى عن النحو باعتباره قضية نقدية تراثية لكن بتصور حداثي جديد وبنظرة خاصة ابتعدت فيها عن الدراسة المحايثة السابقة للنحو والتي تهتم بالجانب الشكلي للجملة النحوية والعلاقة التي تربط بين عناصرها وكذا بالحركات الإعرابية لها، لتؤكد لنا أنَّ المعرفة النحوية العربية لم تقتصر على التأسيس لنموذج محايث يخص اللغة العربية فحسب، فقد كانت مختلف الجهود والدراسات اللغوية الحديثة في عودها للتراث النحوي العربي القديم باعتباره بنية شكلية فنجد مجموعة من الباحثين في التراث النحوي أمثال عبد الرحمان الحاج صالح وذلك من خلال كتابه البنى النحوية العربية، والذي كان بمثابة بعث واحياء للتراث النحوي العربي القديم والبحث في بنيته اللغوية النحوية في دراسة بنيوية، حيث يقول:" إن الدراسة العلمية للبنى اللغوية هي من أهم ما تتكفل به بالدراسة علوم اللسان الحديثة وهي أيضا من أهم ما تطرق إليه وأبدع فيه علماء العربية من جيل الخليل وتلميذه سيبويه وكل من سار على منهجهما"[1]، يحيل هذا القول نزوح الباحث إلى اللسانيات الوصفية لدراسة البنى اللغوية النحوية التي تمخض عنها الفكر العربي التراثي، فيما نجد جهود ابراهيم مصطفى لإحياء النحو وتسهيل قواعده، ونجد كذلك إبراهيم أنيس وغيرهم ممن درسوا في تراثنا النحوي، فيما نجد آمنة بلعلى تجاوزت ذلك الحدَّ عن قواعد النحو العربي القديم والجانب الشكلي للبنى النحوية وغيرها من المفاهيم، للتكشف عن المضمر في المعرفة النحوية والمسكوت عنه، وذلك في كون الفكر العربي قد أنتج معرفة سيميائية بطريقته الخاصة، فحاولت

[1] عبد الرحمان الحاج صالح: البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، (د. ط)، الجزائر، 2016م، ص03.

مقاربة ما توصل إليه الغرب في ذلك بما يوازيه في تراثنا العربي لتجد أنَّ هنالك الكثير من الأفكار المبثوثة في تراثنا نفسها لدى علماء الغرب، فحاولت هي إثبات ذلك.

والبحث في المعرفة النحوية كموضوع سيميائي عند الناقدة قد انطلق من الكشف عن المعنى "باعتبار أنه إنتاج ذات متكلمة في ظرف وسياق اجتماعيين وثقافيين معينين ومجال تداولي"[1] ومنه لابد للانفتاح حول السياق والدلالة الثقافية والاجتماعية للكشف عن المعنى، كما ركزت على البعد التداولي في إقامة نسق سيميائي ويمكن القول في هذا الصدد:" المجال التداولي أو مجال التداول النحوي نظرية في الممارسة التراثية، وهو ما يعني وجود مجالات تداولية كثيرة ومختلفة في الممارسة النحوية على مستوى التفاعل الاجتماعي"[2]، ومن هنا نستنتج أنه يمكن النظر إلى النحو في تراثنا العربي برؤية تداولية لا تهتم فقط بالعلاقات الشكلية بين الوحدات بل بالبحث عن علاقة الوحدات ببعضها البعض انطلاقا من مراعاة السياق والاستعمال الثقافي والاجتماعي التي نتجت فيها، وذلك لتقصي المعنى.

ترى الناقدة أنَّه يمكن للمعرفة النحوية أنْ تكون موضوعاً سيميائيا فأشارت إلى العلامة كموضوع في المعرفة النحوية على اعتبار أنَّ النحو قد ارتبط باللحن حيث إنَّ كل خطأ يطرأ على الجملة في شكلها كان يحدث خللا في المعنى بالضرورة ممَّا يؤدي إلى عدم الفهم وغياب القصد والصواب فكان ذلك يفقد العلامة قيمتها على اعتبار أنَّها الأمر المشترك في الأذهان فكانوا يستدلون على الخطأ بالرجوع إلى كلام العرب وذلك محافظة على العلامة حتى لا تفقد قيمتها كما وصنفوا لأجل ذلك العديد من الكتب والمعاجم على اعتبار أنَّها تساعد العربي وغير العربي على أنْ لا يخطأ في استعمال اللغة وتأويلها ومنه إنتاج العلامات بالشكل الصحيح.

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 50

[2] فيصل مفتن كاظم: التداولية في النحو العربي، مجلة أبحاث ميسان، مجلد 02، ع4، جامعة البصرة، 2006، ص35.

وعلى اعتبار أنَّ النحو هو نتاج فكري قائم على مجموع من العلامات فلقد شغل زحام العلامات تفكير النحويين حيث اهتموا بالبحث عنها وعن علاقاتها ببعضها البعض وبالسياقات الخارجية لها أيضا، وذلك من أجل فهم مدلولاتها والمعنى المراد بها وبطرق استعمالها وهذا يعكس لنا مدى تعمقهم في فهم تلك العلامات من أجل معرفتها، وتوجيه الفكر نحو العلاقات التي تربطها وهذا يدل على تصورهم الدقيق في فهم العلامة وعلاقتها بموضوعها والعالم الخارجي حيث تقول الناقدة" فقد أدرك العرب أيضا أن العلامات لا يمكن النظر إليها في علاقتها في ما بينها فقط ولكن في علاقتها بالعالم الخارجي كذلك"[1]، و لفهم تلك العلاقات بالشكل الصحيح وعدم الوقوع في الخطأ استوجب على النحويين الرجوع إلى كلام العرب والاستدلال به، فطريقة العرب ترسخت لإثبات قواعد موجودة لم تكن معروفة قبلا، ثم إنَّ تتبعهم لكلام العرب وإدراكهم للعلاقات بين العلامات والعلامات التي تدل هي الأخرى على إدراك آخر باللغة جعلهم يتفطنون إلى أنَّ إنتاج العلامات وتوالدها لم يكن بشكل عشوائي وإنَّما هو نسق قائم بذاته قادر على توليد دلالات جديدة لا متناهية تربطها فيما بينها علاقات وقرائن تعمل على إدراك المقاصد وإنتاج المعنى وهذا بالتحديد ما يجعل من المعرفة النحوية موضوعا سيميائياً يتعذر على الدراسة المحايثة الشكلية الإلمام به.

وقد كان من نتائج الوضع والسنن كذلك ظهور المعاجم حفاظا على اللغة العربية على اعتبار أنها وحدات دلالية ثقافية وجب التعرف عليها لرصد وتتبع طريقة استعمال العرب للعلامات لا يمكن النظر إليها في علاقتها فيما بينها فقط كونها لا تمثل الماضي فقط بل هي نقطة ربطت بين الماضي والحاضر والمستقبل ويؤكد بول ريكور (P. Ricoeur) الفكرة بقوله :" بالنسبة إلى الذات المتكلمة التي تستخدم اللغة بوصفها أداة للتواصل مع أمة حية، فإن اللغة تجد وحدتها مرة ثانية: إنها لن تكون نتيجة لماض سديمي فوضوي من الوقائع اللسانية المستقلة ولكنها نسق تتضامن كل

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص54.

عناصره في جهد تعبيري موحد، ومتجه نحو الحاضر أو المستقبل"[1] فحافظوا بذلك على سيرورة العلامة ودلالاتها على مر الزمن متجاوزين بذلك النظرة المحايثة التي لا تراعي الدلالات والمقاصد من الكلام، وهذا حسب رأي الناقدة إنه أشبه بالسيرورة السيميائية في نظرتها إلى الأشياء وما تربطها من علاقات بعالمها الخارجي، ومنه فإن ما أنتجه أصحاب المعاجم هو إنتاج لمعرفة سيميائية منظمة، وتستدل آمنة برأي جوليا كريستيفا في هذا الخصوص بقولها: "أنَّ الحركة الأساسية لكل بحث سيميائي هي إنتاج النماذج"[2]، ولم تقتصر فكرة النمذجة في النحو العربي على الكلمات باعتبارها علامات فحسب وإنما تم سحب الفكرة ذاتها إلى موضوعات أخرى، فكان القرآن والشعر وكلام العرب هي الموضوعات التي طبقت عليها للحصول على نموذج مثالي له أدواته وآلياته وذلك كان بالرجوع إلى القياس باعتباره من أهم قوانين المعرفة النحوية وفي تعريف شامل للقياس يقول عبد الرحمان الحاج صالح" القياس هو تكافئ رياضي بين أفراد فئة ناتج عن المجرى المشترك أو البنية المشتركة الحاصلة منه وهو توافق في الصيغة الناتجة عن التركيب"[3]، فعلماء النحو في وضع القواعد قاموا بوضع القاعدة قياسا وقاسوا صحتها من خلال السنن الاجتماعي.

في الأخير فإن علماء النحو أدركوا دور السياق في ذلك على اعتبار أن المعرفة النحوية لم تكن مجرد نسق مغلق على ذاته كونها أُنتجت من طرف ذات متكلمة في ظرف اجتماعي وسياق ثقافي محدد، أي أن نسق الفكر بما يحمله من علامات أمر تم الاستدلال عليه من الواقع قائم على معايير وقواعد محددة أنتجها العقل، بالإضافة إلى ذلك تعتبر الناقدة أن المعرفة النحوية قد بحثت في المعنى أو القصد الدلالي من الكلام وليس فقط في الجانب الشكلي منه وهذا من خلال رجوعها إلى السؤال الجوهري الذي قامت عليه النحو (كيف لا أخطأ)، والذي كان أقرب إلى ما

---

[1] بول ريكور: صراع التأويلات، دراسات هيرمينوطيقية، تر: منذر عياشي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، 2005م ص294.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص57.

[3] عبد الرحمان الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، (د. ط) الجزائر، 2012، ص 165.

جاء به شارل سندرس بورس(C. S. Reirce) في تأسيسه للمنطق التداولي من خلال سؤاله كيف نجعل أفكارنا واضحة، ومنه فإن مجال البحث هو ذاته، كما أن الخلاف حول الأصل والفرع وإعطاء قيمة لهذا الأخير على الأول منه سمح بتولد مجال تداولي مخصوص لدى العرب على اعتبار أنَّ الفرع ليس له وجه واحد للدلالة فالعلامة هي ذاتها لكن طريقة استعمالها مغايرة.

التصور السيميائي للموضوع البلاغي:

تنتقل بنا الناقدة من التصور السيميائي للمعرفة النحوية إلى التصور السيميائي "للمعرفة البلاغية"، ونفتتح حديثنا عن هذه القضية بقولها: "محاولة لإعادة النظر في النقد الذي وجه للبلاغة العربية وهو نقد إيديولوجي في عمومه محكوم بفكرة الحداثة"[1]، وعلى هذا الأساس تنطلق آمنة بلعلى محاولة في النظر في موضوع البلاغة وما وجه إليها من نقد أقل ما يقال عنه أنَّه نقد غير محكوم غير معلل جزئي وإيديولوجي فكما تشير الناقدة أن البلاغة العربية ليست بديلا للبلاغة الحديثة، لكنها تحمل أيضا منتوجا يمكن الاستفادة منه بفضل وصلت إليه وتحدياتها في الانتقال من تفكيك الجملة إلى النص جعل منها محطة تأويل وبحث واشتغال على مجمل الخطابات، لذلك قد حاولت بقراءتها المنهجية وعلمها بالمناهج النقدية تفكيك هذه المنظومة والكشف عن كيفية تشكل المعنى عند علماء البلاغة. وفي هذا الصدد يشير محمد العمري بقوله : "لن يحول بين الدرس البلاغي الحديث وبين الاهتمام بأسئلة البلاغة العربية واقتحامها إلا عدم استيعابها سؤالا وانجازا، أو تلقيها من أيدي أقوام عاجزين، أقاموا أنفسهم سندا لهذا التراث العظيم فحنطوه حين لم يفهموا منه إلا جوانبه الضعيفة التي لم تتطلب جهدا"[2]، إذاً فإن معظم الدراسات المقدمة نحو البلاغة العربية هي دراسات جزئية جعلت من التراث البلاغي حبرا على ورق ومعظم الدراسات الحديثة ركزت على ظهور البلاغة الجديدة وما قدمته للدرس البلاغي في ظل رهانات الحداثة وما بعد الحداثة، وفي

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص77.

[2] محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، فريقيا الشرق، (د. ط)، بيروت، 1999م، ص32.

موضوع البلاغة الجديدة يقول محمد مشبال: " الذي قد يتجسد أحيانا في مجموع البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية)، وأحيانا في مجموع الصور والوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية(بلاغة المحسنات) وأحيانا أخرى قد يتجسد في مجموع الصيغ التعبيرية والتصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس والأنواع والأشكال والنصوص الأدبية"[1]، ومن هنا أصبحت البلاغة الجديدة بلاغات تستند أساسا على الإقناع والحجاج، وأحيانا ترتبط بالبحث الأسلوبي وذلك حسب الوظيفة التي تؤديها، أي هي بلاغة تخييل وتداول كما أشار إلى ذلك محمد العمري.

بقيت الدراسات الحديثة في مقاربة بين البلاغة العربية والجديدة ومفاهيمها، أو البحث في مجمل الفروق بينهما، أمَّا ما قدمته آمنة بلعلى هو ليس محاولة لجعل البلاغة العربية بديلا للبلاغة الجديدة، ولا بحثًا في المفاهيم النقدية للبلاغة العربية القديمة، إنما هو بحث في الاشتغال السيميائي للفكر البلاغي العربي، والنسق السيميائي الموجه لها، فليس غريبا أن تعود الدراسات المعاصرة إلى الميدان البلاغي واكتشاف أنساقها وعمادها معتمدةً في ذلك على النظريات الحديثة في ضوء معطيات الدرس الجديد، لإزاحة النظرة الجزئية لهذا العلم ومراعاة النسق المنتمية إليه البلاغة، والكشف عن المغيب والمضمر من بلاغتنا العربية مع الحفاظ دائما على أصول ثقافتنا ومرجعياتها.

سنحاول الإحاطة بأهم النقاط التي أسست لهذا التصور الحداثي ونركز على الأهم التصورات السيميائية للموضوع البلاغي عند آمنة بلعلى وبما أنها تبحث عن كيفية تشكلات المعنى، فقد رأت أنَّ المعنى عندهم يتأرجح ما بين حقيقي ومجازي، وما هو مجازي يتحقق من خلال مجموعة من التفاعلات كغياب عنصر مثلا تقديم وتأخير عنصر من عناصر من الجملة...الخ، فيحدث أنَّ هناك في الجملة تغيرات نحوية متعددة كالحذف والتقديم والتأخير والزيادة والتكرار وغيرها، وكل هذا شكل سيرورة سيميائية نلاحظها من خلال تعدد المعاني كانت في البداية مهمة البلاغة هي

[1] محمد مشبال: البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، أفريقيا الشرق، (د. ط)، المغرب، 2007م، ص 8.

البحث في طرق القول لتبين نوع الشذوذ الذي طرأ على الجملة، لكن سرعان ما تحول هذا الاشتغال إلى بحث سيميولوجي تقول آمنة بلعلى "أسفرت هذه النظائر سيميولوجية كالاستعارة والمجاز والكناية والتعريض ومخالفة ظاهر اللفظ معناه الحذف والاختصار أصبح الأمر معني أكثر بصور التغير الدلالي ودرجاته ومفاهيمه"[1]، فالبحث السيميائي وآلياته في الكشف عن الأنساق الدلالية اخترق مختلف العلوم والنظريات وتقاطع مع مختلف المجالات وآليات البحث في الخطابات، ومنها البلاغة فانتقل البحث من طريقة القول إلى البحث عن الدلالة والعلل والأسباب فتضافرت آليات الاشتغال السيميائي والدراسات البلاغية لينتج عنها تصورات كثيرة للمعنى وتشكلاته وتمظهراته في الخطابات التراثية.

نعود إلى المجاز باعتباره أحد أطراف الموضوع البلاغي في التراث العربي فنجد الناقدة تفصل حديثها عنه، وتستدل كثيرا بأطروحة سيبويه في حديثه عن المجاز حيث اعتبر هو الموضوع البلاغي والاختصار والحذف أحد طرفيه للوصول إلى المعنى المجازي، وتأكد الناقدة أن ما يدعوا المتكلم إلى الاختصار والحذف هو السياق وذلك من خلال "عبارة لكل مقام مقال كمفهوم أساسي يميز به الطرح البلاغي الصرف في تعامله مع المعنى المجازي"[2]، وبذلك يخرج المعنى وتشكل الدلالة من دائرة المحايثة إلى السياق ومراعاة قصد المتكلم وعلاقته بالمخاطب والمقام الذي صيغت فيه اللغة، فمقام المدح ليس نفسه مقام الفخر، وفي هذه النقطة يعلق تمام حسان من خلال كتابه اللغة العربية معناها ومبناها في هذا الصدد حيث يقول:" لقد كان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة ((المقام)) و((المقال)) متقدمين ألف سنة قريبا على زمانهم لأنَّ الاعتراف بفكرتي ((المقام)) و((المقال)) باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة"[3]، وهذا دليل على أن

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 85.

[2] المصدر نفسه، ص 87.

[3] تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، (د, ط)، المغرب، 1994م، ص 337.

علمائنا في البلاغة العربية قديما كانوا قد تفطنوا لنفس الفكرة التي يؤصل لها الدرس البلاغي في الدراسات اللغوية الغربية الآن، وهذا بالضبط ما كشفت عنه الناقدة في نفس الفكرة بآليات البحث المعاصر التي توسلت بها للكشف عن المعنى المجازي وهذا التفكير العربي في البلاغة قديما لا يزال الآن محل اشتغال في الدراسات الغربية.

وعليه سوف ندخل في دائرة أخرى وهي علم الاستعمال أي التركيز على اشتغال اللغة من حيث استعمالها في عملية تفسيرها وتأويلها لذلك فالعرب كانوا على دراية حقا بدور السياق والاستعمال اللغوي في تحقيق المعنى، ولنركز على عنصر منطق الاستعمال كبعد تداولي (علاقة العلامات بمستعمليها)، حيث تشير الناقدة إلى أهم العناصر الفعالة التي حققت المعرفة البلاغية والتي بدورها تشمل عدة مباحث من بينها الخبر والإنشاء، الحقيقة والمجاز... الخ والهدف من الكشف عن البعد التداولي للبلاغة العربية هو تجاوز الوصف الشكلي للغة وإخضاعها للبنية اللغوية إلى الوصف الحقيقي للواقع اللغوي ووضعها في استعمالاتها العامة الخاضعة بدورها لظروف الكلام ومقاصد المتكلمين، والتداولية قد ارتبطت اساسا بفكرة الاستعمال فأصبح الاستعمال بعد تداولي لدراسة علاقة العلامات وإنتاج الدلالة بمستعمليها والوصول إلى المعنى المجازي من خلال عنصري المتكلم والمخاطب فهما قادران على تحقيق المعنى وذلك أنَّ المُتكَلم هو الذي يقوم بالتشفير والمُخَاطَب يفك ذلك التشفير مع مراعاة المقام الذي استعملت فيه اللغة.

وفي تصور الفروق بين الحقيقة والمجاز لإدراك المعنى والقصد فإنَّ الاستعمال اللغوي هو الذي يحدد ذلك الفاصل بينهما، فبين ما يقصده المتكلم وما يقوله تكمن نقطة الفصل، وبين اللفظ ومدلوله كان سعي البحث السيميولوجي تقول آمنة بلعلى:" يعكس هذا السعي وعيا بالبعد السيميولوجي للعلامات اللغوية التي عدَّ التوصل إليها في الغرب فتحا عظيما في مجال الاهتمام بالنسق السيميائي للبلاغة والاستعارة خاصة"[1]، فلإستعمال اللغوي بالنسبة للفظ ومعناه في التفريق

[1]آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص92

بين الحقيقة والمجاز وذلك للكشف عن النَّسق السيميائي للمعنى من خلال استعمال اللفظ ومدلوله لتؤكد لنا مرة أخرى أن العرب اكتشفوا قصدية المتكلم والاستعمال اللغوي بقرون عديدة مقارنة بالدراسات الغربية الحديثة، ويختصر أحمد يوسف علاقة البعد التداولي بالبحث السيميائي للكشف عن تشكلات المعنى في الخطابات التراثية وأهمية ذلك بقوله: "إن البعد التداولي يجعل من النسق السيميائي وحدة ثقافية يتجلى فيها نشاط السيميوزيس بوصفها دلالات مفتوحة"[1]، فقد عمل هذا البعد على الكشف عن النسق السيميائي الذي أنتج دلالات المختلفة في البلاغة العربية المتمثل في بعده الثقافي مما جعله وحدة ثقافية مرتبطة بالسياق والمقام والمقال الذي جاءت فيه اللغة.

تشير الناقدة إلى الظاهر والباطن من المعنى المجازي، ويتجاوز بدوره المعنى الظاهري للحقيقة فهو نظام علاماتي يتكون من مستويين بقولها:" الأول لساني وهو ما يسمى اللغة الموضوع والثاني هو المجاز وهو لغة واصفة"[2]، فإذا اعتبرنا المجاز في مستواه الأول يكون بلغة الموضوع أي اللغة العادية وهي الشكل أو الدال العلامة الظاهرة والصورة الأولى التي تمثل المجاز، والمستوى الثاني هو المدلول ويكون مجازي بلغة واصفة لغة اللغة أو معنى المعنى لذلك الشكل الأول إن صح القول، وكل هذا يولد دلالة مجازية فالمجاز إذا بتصور سيميائي يمثل طبيعة لسانية وأخرى مجازية في نفس الوقت.

ننتقل بالحديث عن البيان الموضوع البلاغي الثاني الذي اهتمت بقراءته الناقدة والتي اعتبرته علم العلامات العام، فقد كان اشتغال علماء البلاغة على البيان باعتباره جزء يكشف عن المعنى في الخطابات، وعلى لسان الناقدة فالجاحظ يرى بأنَّ: "الحديث عن قوانين البيان باعتباره اسما جامعا يكشف عن قناع المعنى، وهكذا تنشأ المعرفة البلاغية لتتحول من مجرد نماذج لتحليل بعض مظاهر المجاز إلى نوع من المعرفة الفينومولوجية التي تؤسس لعملية فهم الأنساق الدلالية

[1] أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، ص 117.
[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 100.

وتأويلها"[1]، فالجاحظ في كتابيه البيان والتبين والحيوان قد تطرق للدلالة والعلامة ونقل المشاهد السيميائية بكل تمثيلاتها، فكتاب "الحيوان" للجاحظ يصف كل العلامات غير اللغوية وصورا لتنوع الكلام العربي، والثقافة العربية وما تحمله من علامات لغوية وغير لغوية تستدعي التأويل السيميائي، وفي الحديث عن المعرفة الفينومولوجية في وظيفتها كما يقول أحمد يوسف:" الفينومولوجية في استكشاف نقاء المعنى في صورته الكاملة"[2]، أي أنها بالإضافة لكونها معرفة وعملها في فهم الأنساق الدلالية وتأويلها تعمل على استكشاف المعنى الكامل.

وفي الأخير فإنَّ تصور آمنة بلعلى للبلاغة كان باعتبارها نسق انطلقت من الجملة لينتهي بالنَّص من خلال مجموع من الآليات مكنتها من تأويل الخطاب والبحث في كيفية إنتاج المعاني داخل هذه المعرفة.

التشكل السيميائي للمعنى الشعري:

بداية تعرض الناقدة أهم القضايا التي اهتمت بها الشعرية وهي قضية التفريق بين الشعر والنثر وهي إشكالية راودت الشكلين منذ القديم، كذلك القواعد والقوانين التي وضعت في تصنيف ذلك الأدب عن غيره، ومن بين تلك المقاربات النقدية التي أشارت إليها الناقدة في الكتاب هي تلك التي عنت بالانتصار للنصوص السردية التي انتشرت وبشكل كبير لتغطي على البحث في قوانين الشعر فكان التركيز كبير على هذا الشكل وهذا عائد لأسباب نستنتجها من قولها:" ظهور علم السرد كراع لهذا النوع من النصوص، أو لاعتبار الخطاب الشعري مجرد مجموعة من الملفوظات التي ترصد علاقات وقواعد انسجامه"[3]، في هذا القول توضح لنا آمنة بلعلى لماذا أصبح الاهتمام حديثا يغوص حول البحث في النصوص السردية والابتعاد عن النصوص الشعرية والبحث في خصائصها، وهذا راجع لظهور علم السرد كراعي رسمي ليتبنى هذه الأشكال، وعلم السرد

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 115.

[2] أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة، ص 119.

[3] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص134_135.

هو:" من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيوية، هدفه توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص السردية، ليشمل الجوانب النظرية والتطبيقية في دراسة منهجية للسرد وبنيته"[1]، فأصبح السرد بذلك مادة لمجموع الدراسات الأدبية وظهر علم السرد لدراسة النصوص السردية والكشف عن بنيته وظيفته خصائصه...الخ، والسبب الآخر اعتبار الخطاب الشعري مجموعة من الملفوظات الخاضعة لقواعد صرفية، تركيبية نحوية وكأنه مادة بلا روح.

كما تشير الناقدة في قولها إلى أنَّ:" ما قدمته الفلسفة التأويلية بدءا من غادمار إلى بول ريكور وأمبيرتو إيكو، فهو يثير أسئلة لا تتعلق بالضرورة بالنصوص الشعرية....وبدا واضحا أن تقلب الخطاب الشعري في مقاربات جزئية على الرغم من أهميته لا تسطيع أن تطال كنهه الدراسة المحايثة التي ليست قادرة على الإحاطة بالشعر"[2]، وما نستطيع أنْ نستنتجه من قولها أنَّ البحث في الخطاب الشعري كان جزئيا والدراسات الغربية خاصة التي ارتكزت على الدراسة المحايثة جعلت منه بنية مغلقة ورفعت عنه ميزة أنه خطاب تخييلي يحتاج لتقصي مستوى الانفعال الجمالي به.

لذلك كان لابد من العودة إلى المنهج السيميائي باعتباره القادر على تقصي الشعرية في الخطاب الشعري والبحث في كيفية تشكلات المعنى فيه، لاحظت آمنة بلعلى في مسيرتها لذلك بعض الجهود الغربية في السيميائيات الشعرية ومن بينها جهود غريماس من خلال الكتاب الجماعي " محاولات في السيميائية الشعرية" فساهمت النظرية السيميائية التي وضعها غريماس البحث عن المعنى الشعري حيث أنَّ نظريته " كانت تستمد أصولها المعرفية من الدلالية التي تهتم في المقام الأول باستقراء الدلالة انطلاقا من الظروف الحافة بإنتاجها ووسيلتها في ذلك تفجير الخطاب

[1] يان منفريد: علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى، ط1، دمشق، ص7.
[2] ينظر آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 136.

وتفكيك الوحدات المكونة له ثم إعادة بنائها وفق جهاز نظري متسق التأليف"[1]، لأنَّ نظرية غريماس اهتمت باستقراء الدلالة من خلال السياق الذي انتجها أولا وذلك عن طريق تفكيك وحدات الخطاب لتتبع مسارها، أي التحليل من البنية السطحية إلى البنية العميقة، فغريماس في دراسته للنصوص قد اهتم ب"الشروط الداخلية للمعنى فالتحليل يجب أن يظل محايثا مقتصرا على فحص الاشتغال النصي لعناصر المعنى دون اعتبار للعلاقة التي يقيمها النص مع أي عنصر خارجي عنه كالمرجع والمؤلف مثلا"[2]، لذلك ظلت جهود غريماس بحثا في البنية اللغوية للنص، ولم تخرج عن حيز الدراسة البنيوية المحايثة.

فكان للخروج من هذه البحوث الجزئية في تقصي المعنى الشعري والنظرة المحايثة للنص أن اتجهت آمنة بلعلى إلى تراثنا العربي سعيا منها للبحث في الفكر السيميائي لدى نقادنا العرب وكيفية تشكل المعنى الشعري عندهم، فوجدت أن أفكار حازم القرطاجني والتي طرحها في كتابه " منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، والذي يعتبر أحسن تمثيل لوضع قوانين الشعرية وهو من أمّات الكتب قديما ومصدرا للدراسات النقدية، عن طريق لغة نقدية واصفة بليغة وثقافة ومعرفة واسعة تتطرق أمنة بلعلى لأهم المفاتيح التي تشير إلى كيفية تشكل المعنى وذلك بتصور حداثي وهو السيميائيات على اعتبار أنها المجال الوحيد القادر على التوفيق واستيعاب النظريات والمفاهيم على اختلافها، فكما يقول فيصل الأحمر: "أنَّ الكثير من الإجراءات تناولتها الشعرية متعلقة بنظرية العلامات، والشعرية كانت إحدى الأهداف التي سعت إليها السيميائيات في إطار طموحها إلى أن تكون العلم الشامل الجديد الذي يتسلط على سائر العلوم"[3]، فالشعرية من الحقول المعرفية التي اهتمت بها السيميائيات لتكون العلم الكلي لجميع المعارف.

---

[1] محمد ناصر العجيمي: في الخطاب السردي، نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب، (د. ط)، تونس، 1991، ص 29.

[2] عبد العالي بوالطيب نقلا عن: آسيا جريوي النظرية السيميائية عند "غريماس" بين أزمة المصطلح وإشكالية الترجمة، مجلة المخبر أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، مجلد 15، ع1، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2019، ص28.

[3] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010، ص 301.

وفي علاقة السيميائيات بالشعرية وتداخل المعارف فإن الشعرية قد: "ساهمت في إثراء مجال السيميائيات وساعدتها على تبني فرع آخر أضيف إلى فروعها، ألا وهو الاهتمام بجمالية النص الأدبي، كما ساهمت السيميائيات في إضافة عنصر الدلالة والتواصل داخل الشعرية وهذا شأن مختلف العلوم والمناهج التي تعطي وتأخذ من بعضها البعض"[1]، فالشعرية تهتم بالمستوى الجمالي للنص الأدبي، والسيميائيات تهتم بالدلالة والبعد التداولي والعناصر الأخرى المشكلة للنص، لذلك كانت السيميائيات والشعرية مكملان لبعضهما للبحث في قوانين الخطاب، وما يهمنا الآن هو هذا النموذج الذي سوف يعطينا لمحة سيميائية عن كيفية سيرورة الدلالة وتشكل المعنى في الخطاب الشعري في تراثنا العربي، وتركيزهم على الشعر باعتباره ديوان العرب ساعدنا في تقصي قوانين الشعرية.

كانت المسلمة الأولى التي انطلق منها القرطاجني في الممارسة الشعرية هي البلاغة كعلم كلي يجمع بين المعاني البيان والبديع وعلم النحو، وذلك لتفسير كيفية تشكل المعنى في الخطاب الأدبي، وها هو القرطاجني يرى أنَّ الجزئية اللغوية لا يمكن أن تبرر شعرية الخطاب ويقصد به الخطاب الشعري، ولا للوصول إلى الوظيفة السيميائية التي تتحقق بدورها من خلال عنصري التعبير والمحتوى فحسب قول الناقدة عن القرطاجني "جعل علم البلاغة هو القادر على الإحاطة بهما وهو هنا لا ينظر إلى العلامات على أنها علامات لغوية فحسب بل وظيفة سيميائية"[2]، ما نفهمه من هذا القول أن القرطاجني لم ينظر إلى العلامات باعتبارها علامات تتحقق من خلال آلية لغوية بل أنها وظيفة سيميائية هذه الوظيفة التي تجمع بين التعبير والمحتوى وهذا تصور سيميائي للعلامات باعتبارها علامات دالة قابلة للتأويل والسيرورة وإنتاج عدد لا متناهي من المعاني، وكأنه جعل البلاغة منزلة النقد والعلم الشامل القادر على الإحاطة بالمعاني وتشكل الدلالة. ويتلاقى طرحه مع الطروحات الحديثة في رؤيتهم للبلاغة ونؤكد هذه الفكرة من خلال قول

---

[1] فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، ص 302.

[2]آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص140.

رولان بارت: "لقد تحولت البلاغة في تلاقيها مع اللسانيات إلى علم وصفي تفسيري يستهدف تفكيك النصوص والخطابات المختلفة التي ينتجها الفكر الانساني الحديث، مجاوزة بذلك صفتها المعيارية، قصد تقويم الملفوظات الأدبية والحكم عليها بالجودة أو الرداءة انطلاقا من مقاييس أسلوبية معينة"[1]، رغم التصور الحداثي للبلاغة فقد سبق أن تطرق القرطاجني قديما لنفس الفكرة الحداثية في اعتبار البلاغة علم كلي.

لقد بحث علماء البلاغة ونقد الشعر قبل القرطاجني في كيفية تشكل المعنى الشعري لكن بحثهم كان جزئي وذلك لإهمالهم الجانب الصوتي كجزء من المستوى الإيقاعي، فكان استنباط القوانين التي تجعل من الشعر شعرا جزئية، ولم يكتفي القرطاجني من وضع قوانين الشعرية فحسب بل إلى تقديم كيفية إنتاج سيرورة المعاني، كما قد تجاوز البحث في القوانين اللغوية للمنجز الشعري على اعتبار البلاغة جزء من علم اللغة فحسب كما يعتقد الكثيرون، وبذلك لم يحصر الناقد البلاغة في التصور اللغوي فهي ليست مجرد ظاهرة لغوية وأخذ يبحث في مباحثها (البيان البديع، والمعاني) والعلاقة التي تجمعها بالبلاغة فوجد أنَّ البلاغة المعضودة بالمنطق السبيل لذلك فهي العلم الحاضن للشعر، والشعرية، لأنها العلم الكلي الذي ينظم اللغة ويضبط قوانينها في الشعر أو النثر، والشعرية هي تلك القوانين التي تجعل الأدب أدبا، وعليه فإن هذا التصور البلاغي عند حازم كان نتيجة اطلاعه على المنطق الأرسطي كذلك " من سبقوه كالجاحظ والقدامى ما يعني أنه أقام منهجه أو نظريته في المعنى مراجعة لأطروحاتهم"[2]، استند القرطاجني إلى منطق أرسطو في وضعه لمنهجه في الفهم البلاغي العربي.

---

[1] ينظر رولان بارت نقلا عن: نعمان عبد الحميد بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود، (د. ط)، (د.ت) 97-98.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 144.

ولعل أهم إدراك توصل إليه القرطاجني في التفريق بين الشعر والخطابة وهو: "المتمثل في التخييل والإقناع ليركز على المهيمنة في الشعر التي تجعل منه فعل قول تأثيري والمهيمنة التي تجعل من الخطابة قول إقناعي"[1]، فأصبح الكتاب مجالا في البحث عن الآليات التي تجعل من الكلام أدبا، فقد جعل من التخييل صناعة للشعر والإقناع صناعة للخطابة، ووقف حازم مفصلا لكيفية تكون ذلك المعنى وتجلياته وعلاقته بالمخاطب والمتلقي وكيفية تلقيه فكانت طريقته في البحث متفردة وليست مجرد وصف لتجلي المعنى وهذا مخطط توضيحي لذلك:

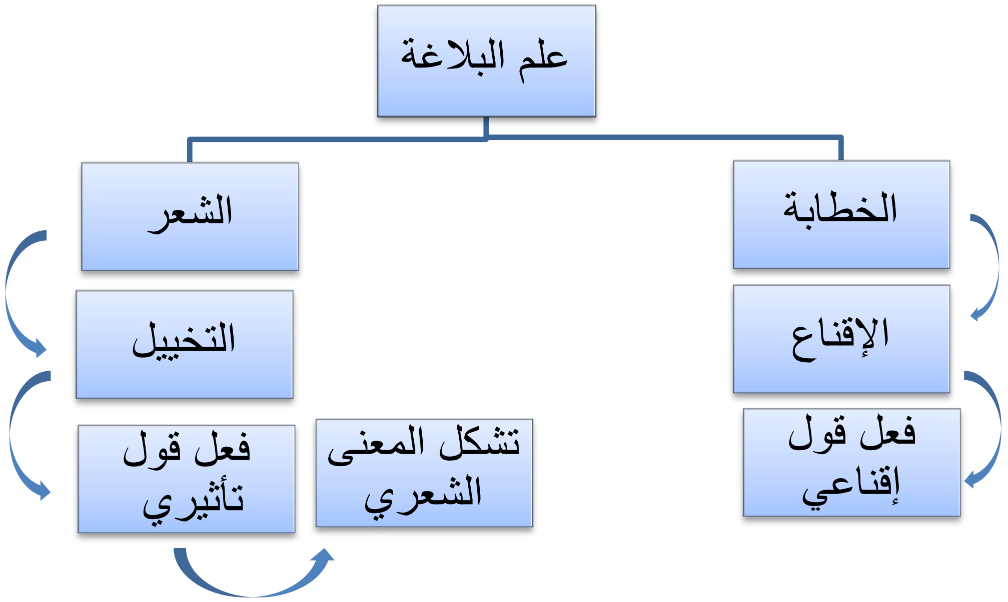

يعرف حازم القرطاجني التخييل بقوله: "وطرق وقوع التخييل في النفس إما أن تكون بأن يتصور في لذهن شيئ من طريق الفكر وخطرات البال، أو بأن تشاهد شيئا فتذكر به شيئا، أو بأن يحاكي لها الشيء بتصوير، نحتي أو خطي أو ما يجري مجرى ذلك، أو يحاكي لها صوته أو فعله أو هيئته بما يشبه ذلك من صوت أو فعل أو هيأة، أو بأن يحاكي لها معنى بقول يتخيله لها"[2]، وهذا يعني أنَّ التخييل يكون من خلال التصور الذي يحدث في الفكر وما يخطر في البال أو أن يكون محاكاة لمشاهد وأصوات بما يشبهها.

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص145

[2] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1981، ص 89-90.

وفي الدراسات النقدية المعاصرة يرى الناقد جابر عصفور أنَّ التخييل يشكل نيج العمل الشعري "وتأمله باعتباره بنية من العلاقات يكشف تفاعلها عن معنى القصيدة كما يشير إلى طريقتها المتميزة في إثراء المتلقي، وتعميق وعيه بنفسه، وخبراته بالواقع"[1]، حيث لا يختلف تصور النقاد المعاصرين عن رؤية حازم القرطاجني في كون التخييل يحدث نوع من التأثير في نفس المتلقي لذلك هو ضرب من المتعة الجمالية.

لقد أشرنا في البداية أن البحوث التي جرى عليها الإشتغال حول المعنى الشعري كانت بنيوية وجعلت من الشعر بنية لغوية وأغفلت طابعه الجمالي، فإنَّ المقاربة السيميائية التي اشتغلت عليها الناقدة لتكشف الفكر السيميائي لدى القرطاجني بانفتاحه على فعل التأثير والإنفعال في نفس المتلقي والذي يحدث بفعل التخييل، وبذلك يكون التخييل قانون أساسي لتشكل المعنى الشعري وهذا ما أهملته الدراسات اللسانية وحتى سيميائية غريماس التي كانت بنيوية لم تكشف عن هذا البعد الجمالي.

ثم تأخذنا الناقدة إلى تصور القرطاجني للمعنى فقد أخد فهم المعنى عنده بابا كاملا من الكتاب ، تقول الناقدة في ذلك أنَّ: "حازما كان على وعي بأن أي فهم للمعنى لا يمكن أن يدرك إلا من خلال موقعه من العلامة اللغوية "[2]، إنَّ حازم على وعي بطبيعة النظام اللغوي كذلك العلامة لذلك فقد رأى أنه لا يمكننا أن نفهم المعنى إلاَّ بوضعه في قالبه اللغوي أي إسناده إلى اللفظ فالمقصود من موقع العلامة اللغوي للفظ ومعناه، فما يترتب من ألفاظ يترتب من معاني وتصور بذلك كل معنى هو علامة.

كشفت آمنة بلعلى من خلال بحثها في الفكر السيميائي عند القرطاجني عن البعد التداولي للمعنى الشعري، فقد كان الفضل دائما للسيميائيات من خلال أهم مداخلها في استنطاق النصوص وهي

---

[1] جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م، ص7.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 146

التداولية، والكشف عن الاستراتيجية الخطابية بين المرسل والمتلقي، تلك العملية الاتصالية التي تكشف عن أبعاد وأنساق عديدة في النص، كالتأثيرية والشعورية، ودور الذات المؤولة، التي تشكل الدلالة، ولما راحت الناقدة تكشف عن البعد التداولي للمعنى الشعري عن القرطاجني وجدت تمظهراته في العديد من المحطات، وقبل ذلك لنتأمل في قول القرطاجني: "بما كان الكلام أولى الأشياء بان يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجاتهم إلى معاونة بعضهم بعضا على تحصيل المنافع وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها وجب أن يكون المتكلم ينبغي أما إفادة أو الاستفادة منه"[1]، وهنا يشير حازم إلى أن الكلام يحمل قصدا أو معنى يريده المتكلم ليؤوله المتلقي ولابد من أن يكون له فائدة ما، وهذا الأخير يدخل في نطاق التداولية التواصلية، والقيمة الجمالية هنا مرتبطة بحدوث تلك الإفادة التي تحصل من خلال تحقق المعنى الذي يريد المخاطب إيصاله، وتحصل الفائدة منه عند إنشاء معرفة قادرة على إنتاج دلالة من قبل المؤول أو المحل المتلقي للخطاب.

فكما تشير آمنة بلعلى إلى أن "القرطاجني يعد الخطاب الشعري نظاما قائما على بنية منطقية لكن تتقدمه العملية التلفظية، وإنَّ اشتغال المعاني في الحقيقة هو اشتغال للعملية التلفظية ذاتها"[2] فإن حازم عندما ربط المعنى بالعلاقات المنطقية بين اللفظ ومعناه لم يلغي تعدد المعنى وسياق الكلام ودور المتلقي وفهمه، إذا فإن المقولة المنطقية هنا ليست ثابتة لمراعاة العملية التلفظية.

كما يشكل المتلقي عنصر أساسي عملية إنتاج المعنى وتولده عند القرطاجني كما يشير عبد الله الغذامي إلى هذه الفكرة في قوله" أشير إلى أنَّ الناقد الفذ حازم القرطاجني قد لمَّح إلى بعض عناصر الاتصال اللغوي وعلاقتها بالأدب من قبل ياكبسون بسبعمائة عام (مات حازم 1285) حيث ذكر أن الأقاويل الشعرية (تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتنى الشاعر فيها...وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه. أو ما يرجع إلى القائل. أو

[1] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء سراج الأدباء، ص 344.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق: ص 170

ما يرجع إلى المقول فيه. أو ما يرجع إلى المقول له"[1]، إذا فتصور حازم للشعر والقواعد التي وضعها في تلقي الشعر وأدبيته، واعتباره لنسق المعرفة الشعرية انطلاقا من القيمة المنطقية والعاطفية وصولا للبعد الجمالي يعكس عمق فكري ووعيا سيميائيا قائما على نظرة علمية محض وهذا ما كشفت عنه الناقدة في بحثها داخل أصول الفكر السيميائي عن الناقد حازم القرطاجني.

تصور الناقدة السيميائي للدلالة عند الأصوليين:

سنتحدث الآن عن قضية أخرى من القضايا التراثية في تصور حداثي من الناقدة وكيف استطاعت قراءة هذه المعرفة بمنهجية حديثة لتستخرج النسق الدلالي عند الأصوليين، وقد تطرقنا في المبحث السابق لاطلاعها الواسع وقراءتها الجادة ومعرفتها بتاريخ هذه المعرفة والذي ساعدها جيدا في تقصي الدلالة عند الأصوليين تقول في هذا الصدد:" إنَّ موضوع الدلالة عند الأصول مرتبط بتصور سيميائي وفرضيات إبستيمولوجية واضحة منذ البداية فهم في دراستهم للدلالة كانوا على وعي بضرورة إدراك وجوهها ومقاصدها وعلاقتها بالمتكلم والمتلقي وهي صورة منفتحة يسعى اليوم السيميائيون الغربيون لتحصيلها"[2]، عندما نقرأ هذا القول يمكننا أنَّ نفهم نتيجة هذا الجزء لأنَّه قول شامل يكشف عن التوجه السيميائي عند الأصوليين لموضوع الدلالة باعتبارها من المفاهيم الأساسية لكل بحث سيميولوجي، ولا يخفى أبدا أنَّ الدرس العربي التراثي كان على وعي وإدراك لمقاصد الدلالة وعلاقتها بعنصري المرسل والمتلقي في الوقت الذي انتجت هذه الفكرة ونضجت في تراثنا العربي، كان لا يزال الباحثون السيميائيون الغربيون في محاولة للبحث في هذه المعرفة فكل قارئ للتراث العربي وبهذه الطريقة الجدية سيكتشف هذا الأمر حتما.

وعلماء الأصول في طريقهم لوضع قواعد الاستدلال والاستنباط لوجوه الدلالة حاولوا كما تقول: " استثمار المعرفة الشرعية والنحوية والبلاغية للبحث عن كيفية استنباط قواعد أحكام الفقه فقدموا

[1] ينظر عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، ص 17.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 187.

طروحات وأسئلة كيف يشتغل التلفظ، وكيف يهيئ الدلالة ويبتكرها من داخل الخطاب وخارجه"[1] إنَّ أوَّل ما يستدرجنا في هذا القول ويثير اهتمامنا هو لفظة "التلفظ" حيث اعتبر الأصوليين أنَّ آلية البحث في اشتغال الدلالة ومحركها الأوَّل داخل الخطاب وخارجه هو التلفظ والمقصود بالمصطلح "التلفظ هو العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ، وهو أيضا الفعل الذي يجعل الأدلة اللغوية تتحقق من قبل متلفظ في ظروف زمانية ومكانية خاصة"[2]، أي أن التلفظ خاصية فردية وعملية تعمل على إنتاج الكلام له قصدية محددة تتجلى من خلال السياق الذي قيل فيه.

إنَّ بحث علماء الأصول واشتغالهم كان اشتغالا سيميائيا لأنَّهم كانوا منظرين ومؤولين في نفس الوقت فبحثوا في أوجه الدلالة والقوانين التي تحكمها وذلك للكشف عن النسق السيميائي للدلالة وكان هذا التصور مبني على أساس خاص كما ذكرت الناقدة فقد اهتم الأصوليون بالمعنى من الناحية الواقعية، وضرورة انبثاق المنطق من واقع الدلالة عند الأصوليين فحسب أنصار هذا التوجه خاصة الشافعي وذلك ما نلاحظه في قولها:" لا يمكن لمنطق صوري أن يكشف عن العلل التي بموجبها تتوجه الدلالة في الخطاب"[3]، والمقصود هنا أن منطق أرسطو "الصوري" لا يمكن أن يكشف عن العلل التي توجه الدلالة لأن المعرفة تقتضي معرفة القوانين التي تسير الدلالة وكذلك العلل، لكن المنطق الأرسطي الصوري يجعلهم في عالم مصطنع غريب عن الواقع أو واقع اللسان العربي وهذا ما دعا إليه الشافعي بصفة خاصة تقول آمنة بلعلى في هذا الصدد " معرفة اللسان العربي تعد مسلمة سيميائية وفرضية إبستيمولوجية سنرى أنها توجه تحليل الأصوليين للخطاب الذي تنتظم وحداته الدلالية باعتبارها وحدات ثقافية"[4]، يتضح من هذا أن الشافعي جعل من اللسان العربي معرفة لازمة لتشكل قاعدة أساسية يمكن من خلال الوصول إلى النسق الدلالي الشامل للخطاب الذي تشتغل داخله الأحكام أما عن الوحدات الثقافية فقد اتجه الأصوليين في تحليلهم

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص183.

[2] ينظر حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، (د. ط)، تيزي وزو، 2012 م، ص 18-19.

[3] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص184.

[4] المصدر نفسه، ص 185.

للخطاب على اعتباره وحدات ثقافية وكل وحدة دلالية تعبر عن وحدة ثقافية ما فتكون قابلة للإدراك والتأويل.

كما لاحظنا أنَّ الأصوليين أولوا عناية بالغة للعلل والمعنى وهي: "البنيات الأولى المسؤولة عن تشكل النسق السيميائي والظواهر التي ترسم انسجامها كالأشباه والنظائر وما يعرف بالتشاكلات والمقاصد"[1]، وهذا ما يبحث عنه الأصوليون حيث أن موضوع الدلالة عندهم قد ارتبط كما لاحظنا بتصور سيميائي وكانوا على وعي بفهم مقاصدها وعلاقاتها بالمرسل والمتلقي أيضا وهو نفس البحث السيميائي الذي قد سعى إليه الباحثون الغربيون الآن.

ترى آمنة بلعلى أن في تصور الأصوليين للخطاب فإنَّهم لم يعتبروه مجرد نظام من العلامات أو أدلة أحكام أو بنية لغوية فقط وإنَّما قد اعتبروه بقولها: "نسق أنتج في سياقات معينة ووجه لمخاطبين لهم نظر وقدرة على الاستدلال والقياس وبذلك الاهتمام بالقرائن والسياق وقصد المتكلم والمخاطب في معاينتهم لطرق اشتغال الدلالة في الخطاب"[2]، يمكن أنْ نستخلص من هذا القول أنَّ الخطاب عند الأصوليين ذات نسق أنتج بفضل مجموعة من السياقات الخارجية ليوجه إلى مخاطبين لهم قدرة وفاعلية في تلقي الخطاب وتأويله وتفسير الرسالة المراد منه، وذلك من خلال الاهتمام بالعلامة، السياق، المتكلم المخاطب لفهم النسق الدلالي فحسب ابن الجوزية:" فالسياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل والقطع بعد احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته"[3]، فقد استحضر الأصوليون السياق في درسهم حتى لا يبق النص منغلق في ذاته.

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص 187.

[2] المصدر نفسه، ص 188.

[3] ابن القيم الجوزية: بدائع الفوائد، تح: هشام عبد العزيز عطا، عادل عبد الحميد عدوي، ج4، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ص 9-10

أمَّا عن المقامات السيميائية التي تحدثت عنهم الناقدة فهي ثلاث مقامات حدَّدوا من خلالها منطق الدلالة في الخطاب وهي كالآتي:

مقام علاقة المواضعة بالاستعمال: في هذا المقام توضح لنا الناقدة ثلاثة نقاط أساسية وهي متمثلة بعلاقة اللفظ بالمعنى في تشكيل الدلالة وسيرورة المعنى، فيما أكدت الناقدة أن الاصوليون في بحثهم عن كيفية استنباط الحكم كانت النقطة الأولى في: " الطريقة التي ينطوي عليها استنباط الحكم حيث ينبغي أولا التعامل مع ما سموه بالمنطوق أو ما أطلقوا عليه بالدلالة اللفظية التي تحصل من خلال إدراك علاقة المطابقة والتضمن"[1]، والمقصود بعلاقة المطابقة هنا هي أن تدل العبارة أو اللفظ على المعنى المراد منه أي دلالة المنطوق بالمعنى وهذا هو التطابق، أمّا النقطة الثانية في بحثهم هي دلالة المنطوق بالتضمن، أي أن يوضع الخطاب ليس بغرض المساق له ولكن يتطابق في جزء منه والمعنى يصبح ضمنيا في الخطاب، والنقطة الثالثة هي دلالة الالتزام هنا تدخل دلالة السياق يعني أن سياق الحديث يلزم وضع ذلك الكلام.

مقام المبادلات الدلالية:

يمثل طبيعة المبادلات القائمة على بعض التصنيفات لاشتغال الدلالة والمسار التأويلي لها وهذه المبادلات التي يستنبط من خلالها الأصوليين وجوه الدلالة تكون بين دلالة الحقيقة اللغوية والشرعية والعرفية، ففي استنباطهم للأحكام يقدمون الدلالة الشرعية على اللغوية لأنها أصل الحكم عندهم فإن تعذر عليهم التأويل يعودون للدلالة العرفية ثم للحقيقة اللغوية، ونقصد بالعودة إلى الحقيقة اللغوية لمعرفة الدلالة: " يعد الجانب اللغوي من أهم الجوانب التي يقوم عليها علم الأصول، فقد أسس هذا العلم على منطق اللغة العربية وهديها، فكانت الطريق الموصلة

---

[1] ينظر آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص197

إلى استنباط الحكم من الكتاب والسنة"[1]، فمن شروط استنباط الحكم العودة إلى قواعد النحو والبلاغة للوصول إلى النسق الدلالي.

وفي هذه المبادلات يكون التأويل وسيلة للوصول إلى الدلالة كما أنهم أشاروا إلى جزء أساسي في سيرورة الدلالة في قولها: "تفطنوا وهم يعاينون الخطاب القرآني أنه مسار من الدلالات التي تحكمها حركية لا نستطيع التحكم فيها إلا من خلال المنطق، فأنشأوا منطق واصفا نصفه بأنه سيميائي تداولي، لأنه على وصف حركية الدلالة في الخطاب ومن جهات أخرى يربطها بالمخاطب والعرف أو الخارج"[2]، فإن أي نسق دال في الخطاب القرآني له جانب منطقي خاص لابد والعودة له وهو مرتبط بوقائع حقيقة أيضا لذلك فإن تصورهم ليس شكلي مجرد بل تحكمه مجموعة من المعارف الخارجية المرتبطة أساسا بالمخاطب والسياق وهذا القول يلخص ما سبق حيث يقول صحراوي مسعود: أثناء بحثهم عن الدلالات وعن الطرق التي يتخذها النص لإفادة المعنى، من إجراء فهمهم لطرق تأليف الكلام وأوجه استعمالاته وإدراك مقاصده وأغراضه وما يطرأ عليها من تغيير ليؤدي معاني متعددة. كمراعاة قصد المتكلم وغرضه ومراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي"[3]، وهذا يؤكد على الفكر السيميائي عند علماء الأصول، كشفت آمنة بلعلى نفس الفكرة لأن الأصوليين تجاوزوا الفكرة التصورات الشكلية والتحديد المنطقي لنظرية أفعال الكلام.

مقام علاقة التجلي والتخفي:

وهو المقام السيميائي يعبر عن دلالة اللفظ على المعنى وارتباطها بالظهور والخفاء فالتجلي أو الظاهر في النص هو الذي لا يحتمل التأويل ولا يلزم، فيفهم اللفظ ويتطابق مع معناه، أما المخفي عندهم فيكون من خلال الغموض الذي ينشئه نوع من التشابه أو تكرار لألفاظ معينه فيكون فيها نوع من الغموض يحتاج لفهم وتفسير و تأمل، كما أنها تشير إلى هذه الثنائية بقولها:" حركية

---

[1] أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، (د. ط)، الإسكندرية، 1996، ص9.

[2]ينظر آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 202.

[3] ينظر صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة،(د. ط)، بيروت، 2010م، ص132

الظهور أو الخفاء أن المستوى الأول ترتبط فيه الدلالة بالعلامات والصيغ التي تحددها في حين يرتبط الخفاء بالخارج أو السياق"[1]، إذا فإن الظهور يمثل نوعا من المنطوق الظاهر والخفي هو المفهوم الذي يرتبط بسياق الكلام وبين الظاهر والمخفي تحدث تلك المبادلات وتتحد الآليات لفهم فحوى الدلالة ووصول المتلقي لغرض وضع ذلك الخطاب.

[1] آمنة بالعلى: سيمياء الأنساق، ص 206.

المبحث 02: تشكلات الجهاز المفاهيمي في نقد آمنة بلعلى

بعدما اطلعنا على المعرفة التراثية للناقدة من جهة وبالمناهج النقدية المعاصرة من جهة وكذلك تصورها الحداثي للقضايا النقدية (نحو، بلاغة، شعرية، أصول) كان لابد لنا من توضيح الجهاز المفاهيمي الذي شكل هذه المعرفة والتصورات ومكنها من تفكيك هذه المنظومة وهي التراث بما يحمله من أنساق ظاهرة وأكثرها مضمرة، فتتحد الآليات السيميائية في مجموعة مفاهيم تتكأ عليها آمنة بلعلى لدراسة التراث العربي والبحث في تشكلات المعنى في خطاباته الواصفة سيميائيا، لذلك كانت للمفاهيم السيميائية خاصة دور كبير في إنتاج هذا المشروع النقدي انطلاقا من "العلامة، الدلالة، التأويل كمرتكزات أساسية "، ثم تأتي بعض المفاهيم" اشتغال النسق السياق، المخاطب والمتلقي ودورهما في تشكيل الدلالة، تجاوز المحايثة...الخ"

العلامة:

إن الدرس العربي اشتغل بالعلامة والدلالة في كثير من المجالات لأنها مفاهيم أساسية فيما يسمى اليوم بالبحث السيميائي، والعلامة هي: "مصطلح يستعمله الناقد للإشارة إلى وجود علاقة ما بين شيئين متصلين ببعضهما، على نحو يجعل دلالتهما تنحصر في نوعية تلك العلاقة أو هي ما هي قابلة للإدراك، ليست لها معنى في حد ذاتها، إذا أدركت من غير ارتباطها بالمجموعة أو العنصر القابل للإدراك (وهو الدال)"[1]، من خلال هذا القول تبين لنا أن وجود علامة ما لابد من وجود دال عليها وهي العلاقة التي تجمع بين شيئين لتشكل دلالة قابلة للإدراك، فلا يمكن أن تكون علامة دون وجود دال ومدلول أو دون وجود ممثل وموضوع.

وعلى اعتبار أنَّ العلامة أحد أقطاب الاشتغال السيميائي وكذلك أحد مكونات الجهاز المفاهيمي عند الناقدة فقد اعتبرتها موضوعا في المعرفة التراثية حين أكدَّت أنَّ الكون كله عبارة عن علامة

[1] سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد العربي العاصر، دار الأفق العربية، ط1، القاهرة، 2001م، ص122.

وهذا التصور الذي كان نتيجة اطلاعها على المعارف الغربية من جهة وكذلك إدراكها للمعرفة الدينية فالقرآن الكريم في قولها:" نبه أنَّ كل علامة وكل نظام طبيعي كوني لابد أن تكون له علاقة بوجود الله"[1]، وأن لوجود هذه العلامات لابد للإنسان أن يدركها ويشغل فكره فيها، فالقرآن الكريم طبع حياة جديدة للإنسان العربي وفتح المجال للباحثين في التفكير في هذه العلامات لإنتاج المعنى، وخصصت بذلك الناقدة فصلا كاملا بعنوان "الاستدلال بالعلامات في الثقافة العربية" وكيف تم تأويلها من قبل علماء العرب وأنَّ القرآن الكريم باعتباره نظاماً وشبكة من العلامات لغوية لا متناهية كان له الفضل في منح آليات الاستدلال للوصول إلى المعاني المختلفة.

بالنظر إلى أنَّ العلامة قد تجاوزت مختلف أنساق المعرفة وأشكالها فلم تلبث أن تقف حدَّ القرآن فحسب وإنَّما قد تجاوزته إلى مداخل أخرى من الثقافة العربية كالنحو والبلاغة والأصول والتفسير لأنها نتجت كلها بالموازات مع القرآن الكريم وخدمته، فنجد حضور المفهوم في النحو من خلال رؤيتها أنَّ علماء النحو قد كونّوا رؤية سيميائية شاملة من خلال الغوص في كلام العرب وإدراكهم للغة إدراكا مغايرا وهذا ما سمح لهم بإدراك العلامة وأصنافها وسيرورة الدلالة بتعدد تأويلاتها وهذا من خلال إدراكهم أن الكلمات هي في الأصل مجموعة من العلامات تربطها علاقة فيما بينها وبين الأشياء الموجودة في الواقع، وأن بحثهم في تلك العلاقات هو بحث عن المعنى وطرق اشتغاله وهو بالضرورة يحمل في طياته شيئاً من الاستدلال والتأويل.

كما اعتبرت المجاز نظام علاماتي في البلاغة، والبيان علم العلامات العام كما أشارت إلى كتاب الحيوان للجاحظ باعتباره منظومة من العلامات تجسد علامات غير لغوية كاللباس والهيئة والعادات العربية لتبين معرفة التراث العربي بهذا النوع من العلامات وتفطنهم له فالعلامة كانت موضوع في المعرفة التراثية وكان العرب يشتغلون في فهمها وتأويها سواء في النحو أو البلاغة أو النقد أو الأصول.

---

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 26

الدلالة:

إن أي تحليل خطاب لا يتحقق من دون دلالة، والدلالة آلية من آليات استرسال المعنى وتحققه ولا وجود لمعنى بدون دلالة، ومفهوم المصطلح تعني: "إنَّ كلمة دلالة Sémantique قد اشتقت من الكلمة اليونانية Sémaino (دال– معنى) وهي نفسها مشتقة من Séma "دال. أي أن أي تغيير دلالي هو تغيير معنوي، وإن القيمة الدلالية تكمن في معناها"[1].

فبحث آمنة بلعلى منذ البداية كان ينصب على تقصي المعنى وأوجه الدلالة في القضايا التراثية وعلى اعتبار أنَّ الفكر الدلالي العربي أسهم بدوره في فكّ لغز المعنى، فقد تحدث علماء العرب عن الدلالة ومفهومها وبحثوا فيها وفي أنواعها كالجاحظ مثلا والقرطاجني وعلماء الأصول والنقاد القدامى بصفة عامة، سنلاحظ حضور المصطلح بكثرة في المدونة" سيمياء الأنساق" وذلك في مجمل القضايا التي بحثت فيها عن تشكل المعنى داخل أنساقها بالتوجه الحداثي.

لقد اهتمت آمنة بلعلى بالكشف عن جوانب الدلالة في المعرفة النحوية من خلال إقامتهم للنسق على اعتباره يستمح بتوليد الدلالات و إنتاج المعنى، فكل ما جاء به أصحاب المعاجم والنحوين هو حديث عن وحدات دلالية تنتمي إلى ما يسمى بعلم الدلالة، فقد ساهموا من خلال مجمل المواضعات والقواعد والآليات الي أسسوها إلى إنتاج المعنى و إنتاج الدلالة، ما سمح للمتلقي بأن يؤول العلامات ويدرك الدلالات.

وراحت كذلك في تصور الموضوع البلاغي سيميائيا، استنادا كما رأينا إلى السيميائيات العامة وتقسيم بيرس للعلامة(النحوي والدلالي والتداولي) لتحاول معرفة مدى إمكانية المعرفة البلاغية فهم الدلالة ونؤكد ذلك بقولها:" لنرى إلى أي مدى استطاعت أن تلم بهذه الجوانب في محاولة فهم الدلالة ثم لنكشف كيف كانت تشتغل هذه المستويات في الدرس البلاغي"[2]، إذن استفادت آمنة

[1] بيير جيرو: علم الدلالة، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط1، دمشق_ سوريا، 1988، ص 16.

[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 81.

بلعلى من تقسيم بيرس في السيميائيات العامة لتنقب عن أوجه الدلالة في الموضوع البلاغي وسيرورتها، فتأويل التراث والبحث فيه يقتضي ضروريات يرضها الواقع الآني، فلا ينبغي على أي قارئ في التراث أن يكون أسيرا له ولذلك فتمثيل الناقدة لهذا التراث انطلاقاً من الآليات المعاصرة في قراءة وتحليل الخطاب.

كما نجد حضور المصطلح عند استحضارها منظومة القرطاجني وتطبيقها عليها للبحث في أسس الشعرية وقواعدها وتولد المعنى الشعري فمن خلال كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء تؤكد لنا الناقة أنَّ بحث حازم القرطاجني في المعاني كان انطلاقا من ثلاث قيم سميت بالمقولات الدلالية التي تولد بدورها الدلالة فهمها وشروط تحققها وكل ذلك يؤدي إلى تقصي المعنى عند القرطاجني.

ثم تطلعنا على النسق السيميائي للدلالة عن الأصوليين فبحثهم على الإجمال كان بحثاً في الدلالة جملةً وتفصلاً فالناقدة استطاعت أن تتصور لنا الدلالة سيميائيا عند علماء الأصول والآليات التي تشكلت بها وقواعد استنباط وجوه الدلالة وبحثت كذلك في مقام المبادلات الدلالية وسيرورة الفعل الدلالي كأهم النقاط التي طرحتها في قضية الأصول لتصل إلى اشتغال الدلالة عندهم وانفتاحها وتعددها.

التأويل:

كما أكدنا في البداية فإن الجهاز المفاهيمي الذي شكل مدونة الناقدة الموسومة ب"سيمياء الأنساق _ تشكلات المعنى في الخطابات التراثية" كان من خلال ثلاث مفاهيم سيميائية أساسية قد تحدثنا عن العلامة والدلالة والآن سنتحدث عن التأويل.

يعرف **أمبرتو إيكو** التأويل بقوله: " تفسير لما يمكن لهذه الكلمات أن تفعل أشياء شتَّى (لا غيرها) عبر الوسيلة التي يتم تأويلها بها، وأنها سبيل لحل رموز النص كعالم والعالم كنص"[1] ومنه فالتأويل وسيلة يهتدي بها المؤول لتجاوز المعنى الظاهري إلى الباطن منه.

ويعرفه **بول ريكور** بقوله: "هو عمل الفكر الذي يتكون من فك المعنى المخبئ في المعنى الظاهر، ويقوم على نشر مستويات المعنى المنضوية في المعنى الحرفي"[2]، يتضح لنا من خلال التعريفين السابقين أنَّ التأويل يعمل على تفسير النص وبعث معناه وإخراج القواعد وترجمته أيضا إلى لغة ثانية والبحث في المضمر والمخفي منه، والناقدة في تأويلها للخطابات الواصفة التي اختارتها بثت فيها روح أخرى بلغة واصفة انتقلت من خلالها من اللغة العادية والتأصيل للمصطلحات إلى استنطاق التراث بما يحمله من بنى عميقة، كما أن التأويل عمل على إخراج الدراسة التي قامت بها من توصيفات المحايثة التي قد نادت منذ البداية بالخروج منها.

ونجد للتأويل أثرا في النحو العربي كشفته لنا الناقدة من خلال ما جاء به بن جني والكوفيين حول تجاوز قاعدة الاجماع والتي هي من أهم أركان النموذج وإحلال سلطة العقل محلها للتأويل والاستدلال على الصواب في الكلام والخطأ منه على اعتبار أنَّ ليس كل إجماع صواب بل إنَّ الصواب يكمل فيما يقتديه العقل ويستسيغه التأويل، فالوعي العلامي لديهم واحساسهم بإساءة التأويل في علاقة الدال بمدلولهم هو ما جعلهم يتجهون إلى تعقل مختلف حول المعرفة النحوية.

وكان حضور التأويل في الموضوع البلاغي للتفريق بين المجاز والحقيقة حيث أنَّه:" هناك علاقة بالمجاز والتأويل، حيث لا يمكن الحكم به إلا بواسطة التأويل"[3]، ربطت آمنة بلعلى تحقق المجاز من خلال التأويلات التي يمليها المتلقي أو المؤول له، كما تحدثت عن دور الذات في عملية تأويل الخطاب لإنتاج الدلالة عند البلاغيين.

---

[1] أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2009م، ص197.

[2] بول ريكور: صراع التأويلات، تر: منذر العياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، إفرنجي، 2005م، ص44.

[3] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص127.

فكل من النحو والبلاغة والشعرية والأصول هي أنشطة فكرية سعت إلى البحث عن القوانين التي تشكل المعنى انطلاقا من العلامة إلى التأويل لسيرورة المعاني، وتعدد المعاني " مصطلح يستخدم لإشارة كل قارئ في مرحلة معينة يكتشف جانب من معنى النص الظاهر أو الكامن، وفق لظروفه، باعتبار النص الأدبي نص مفتوح الدلالة والمعاني والأفكار"[1]، وكي نفصل في علاقة المصطلحات الماضية ننظر الى المخطط التالي:

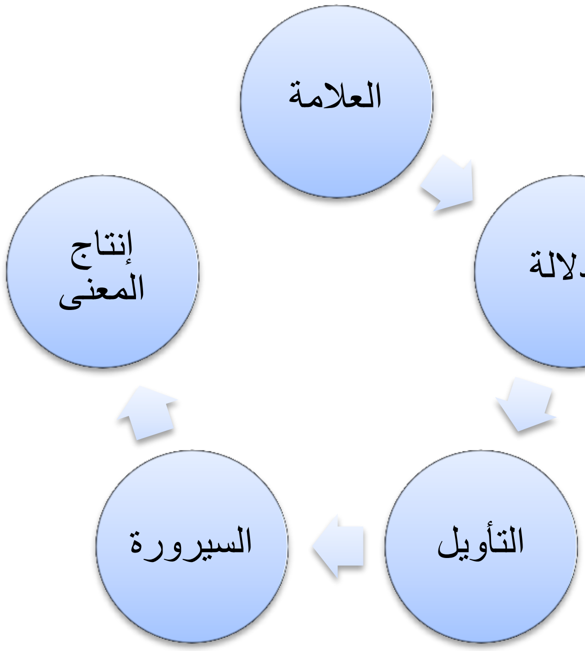

حاولنا من هذا المخطط تبيان ترابط هذه المفاهيم السيميائية التي شكلت الجهاز المفاهيمي الأساسي لكتاب سيمياء الأنساق لآمنة بلعلى حيث أن العلامة كيان ممتد لا متناهي تشمل الكون وما فيه وتقودنا إلى خلق كيان آخر من الدلالات لا متناهية وهذه الدلالات التي يكون فيها التأويل محاولة لامساك خيوطها والدفع بها إلى إنتاج المعنى وتعتبر كذلك حصيلة للسيرورة السيميائية.

فالنحو والبلاغة والشعرية والأصول كانوا يشتغلون من أجل هذه المقولات الثلاثة (العلامة_ الدلالة_ والتأويل) وتجمعهم على الرغم من موضوعات البحث المختلفة وأكد هذا الترابط بينهما

[1] ينظر سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد العربي العاصر، ص 108.

ذلك الجهاز الواصف انطلاقا من طبيعة التفكير في العلامات وطرائق تشكل المعنى وأوجه الدلالة وطرق اشتغالها ومن تم دور المتلقي في تأويلها.

النسق:

إذ كنا بيَّنا أهم المصطلحات أو المفاهيم لتي اشتغلت عليها الناقدة وارتبط أساسا بالبحث السيميائي فيجب علينا أن نبين الشق الثاني من سيمياء الأنساق وهو النسق أو الأنساق المفهوم الآخر الذي شك بدوره هذا المشروع النقدي، وقبل ذلك نعرف المصطلح من خلال القول التالي: وهذا يعني أن المصطلح يتأرجح بين عدة مفاهيم تحيل لكمة نظام، أو بنية، لذلك فإنه في مفهومه اللساني "يتحدد مفهوم النسق في نظرتنا إلى البنية ككل، وليس في نظرتنا إلى العناصر التي تتكون منها وبها البنية وهو يكتسب قيمته داخل البنية وفي علاقته ببقية العناصر أو بموقعه في شبكة العلاقات التي تنتظم العناصر، والتي بها تنهض البنية فتنتج نسقا"[1]، هنا يتحدد مفهوم النسق على أنه نظام يتشكل من خلال ترابطه مع مختلف العناصر المشكلة للبنية.

كما يعرف: " أنَّ النسق مكون من مجموعة من العناصر أو من الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر"[2]، فالنسق هو تكاثف لمجموعة عناصر مميزة تؤدي وضيفة فتصبح نسقا. وكذلك "هناك انساقا فرعية تتولد من نسق عام والأنساق الفرعية تستلزم صفتين اثنتين، هما التراتبية والاستقلالية. هكذا يمكن اعتبار مجتمع ما من المجتمعات نسقا عاما يتولد عنه نسق سياسي ونسق اقتصادي ونسق علمي ونسق ثقافي"[3]، ومنه فنقل حالة من المجتمع إلى الأدب أو النص يصبح نسق فنقول ذلك نسق ثقافي أو اجتماعي أو سياسي نسبة للحالة أو الصفة التي جاء بها.

---

[1] ينظر يمنى العيد: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، (د. ط)، بيروت، 1985م، ص 32.

[2] محمد مفتاح: التشابه والاختلاف، نحو مناهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، (د. ط)، الاسكندرية، 1995م، ص 158_159.

[3] المرجع نفسه، ص 159

دائما ما نصطدم بمصطلح النسق عند آمنة بلعلى فهي بحثت في التراث العربي ولا شك أنَّ أي تنقيب في الخطاب وخفاياه هو بحثٌ في نسق معرفي ما، وهذا بالضبط ما توصلت إليه من خلال محاولاتها في استخراج أنساق المعرفة التراثية فكان بحثا في "سيمياء الأنساق" لقد تتبعت الناقدة في الكتاب مجمل المعارف التراثية على اختلاف خطاباتها باعتبارها أنساقٌ دالة صيَّر لها أصحابها جهازا منهجيا متكاملا، وقد أشارت إلى ذلك في قولها: "يمكن أن ننظر إلى هذه الأنساق الدلالية على أنها خطابات أو نتاجات فكرية تتفرد كل واحدة منها بموضوع مخصوص تتمثل في مجموع تلك المعارف الفكرية التي لها أدواتها وآليات أصحابها في فهم تشكلات المعنى وأوجه الدلالة"[1]، حملت الخطابات التراثية مجموعة أنساق بمختلف أنواعها من اللغوية والثقافية والاجتماعية ... وهذا راجع لغنى الثقافة ثقافتنا العربية بهذه الأنساق المختلفة والمتنوعة، فنظرت آمنة إلى المعرفة التراثية سيميائيا وجدت اشتغال النسق وتشكله في بنياتها المختلفة. بدايةً من القرآن باعتباره نسقا سيميائيا ونظاما رمزيا منظما موجها إلى جميع الناس يدعو إلى الفهم والاستدلال وإدراك العالم كعلامات، لا يسعى إلى تكريس المعنى بقدر ما يدعو إلى إنتاجه، وهو نسق لغوي قائم بذاته على علاقات شكلية رمزية تربط بين المادة والروح كانت ولا تزال قابلة للتفكير والتفكيك.

ولقد تبلور موضوع النسق في المعرفة النحوية عندها من خلال تتبعها لمجمل المواضعات والقواعد التي ارساها علماء النحو وأصحاب المعاجم من خلال اتباعهم لسنن العرب في الكلام ومنه اتباع ترتيب منسجم في إنتاج العلامات، وذلك وفق مجموعة من الصرفية والإعرابية بما تحمله من آليات يمكن الاشتغال عليها دلاليا.

أما في الجانب البلاغي تؤكد الناقدة أن النسق السيميائي في البلاغة العربية هو نسق ابستيمولوجي بامتياز اشتمل على عدة روافد بدءا بالجاحظ والجرجاني مرورا بالسكاكي

[1] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص21.

والقرطاجني، فنجد أن البلاغة قد حملت مجموعة من الأنساق اهتدت الناقدة إلى تبيانها فاعتبرت المجاز نسقا ونظاما وشبكة و العلاقات أدت إلى نوع من النسق السيميولوجي في طريقة تشكله وقدمت البلاغة بصفة عامة نسقا دلاليا، يشتغل هذا النسق وفق نظام علاماتي في إطار علاقة تواصلية بين المتكلم والمخاطب.

وفي الشعرية برزت أهم الأنساق التي تولد الدلالة وهي تشمل أنساق القيم الأخلاقية وأنساق القيم المنطقية، وأنساق القيم الجمالية بما تحمله من عناصر مترابطة لها دلالات مختلفة شكلت بدورها أنساق سيميائية.

حملت الأصول عدت أنساق ثقافية فرضها اللسان العربي فاعتبرت الوحدات الدلالية انساقا ثقافية، كما اعتبر الخطاب عند الأصوليين نسق دال أنتج في سياقات متعددة، وهي سياقات ثقافية واجتماعية وذلك لارتباط الخطاب بهذه السياقات.

وفي الأخير يمكن القول أن كل القضايا التراثية التي تناولها الكتاب اعتبرت انساقا دالة أنتجت بفضل مجموعة من السياقات الثقافية، والاجتماعية التي فرضتها الثقافة العربية، وكل تلك القضايا جاءت خدمة للقرآن الكريم، الذي يشتغل فيها النسق في سيرورة دائمة، فكان الهدف الأساسي من فكرة النسق هو محاولة تنظيم الأنساق التراثية، وكان النسق المنظم لكل هذه المعارف والمنطلق الأساسي لها هو القرآن الكريم حيث جاءت كلها خدمة له، حيث يمثل المنظومة الرمزية العلاماتية التي قامت حولها كل محاولات التفكيك لفهمها وتأويل العلامات اللامتناهية فيها.

السياق:

كان الحديث عن السياق ودوره في تشكيل المعنى في الخطابات التراثية من المفاهيم الأساسية التي تطرقت لها الناقدة وتكرر هذا المصطلح كثيرا في الكتاب ما يعني أن له دور وأثرٌ كبير في تشكيل الجهاز المفاهيمي للمدونة، والسياق في مفهومه العام هو:" مفهوم يشير

إلى العوامل التي تؤثر في اتجاه النص، وتشكيله وظهوره، فالسياق العام الأثر الأدبي أو النص هو المجتمع والتاريخ.."[1]، ومفهوم السياق إذاً مفهوم شاسع فهو مجموع الظروف التي تؤثر في فهم النص و إنتاجه، كما أن سياق موضع الكلمة هو الذي سيحدد قيمتها في الخطاب.

كذلك يعرف السياق على أنه "المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول ويكون لفظيا أو قابلا للشرح اللفظي، فالسياق إذاً هو الرصيد الحضاري للقول وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه"[2]، أي هو المظهر الذي جاء فيه الاستعمال اللفظي الذي يعود إليه المتلقي لفهم المحتوى.

وظفت آمنة بلعلى مفهومها للسياق واشتغال الخطاب وفهمه من خلال دوره فيه فأدركت اشتغال العرب على العلامة والبحث فيها وعلاقتها ببعضها، كذلك في تحول الكلمة إلى علامة ودور السياق في ذلك تقول:" إن تحويل الكلمة إلى علامة من قبل السياق يعني إعطاء قيمة معينة لتلك الكلمة وإبراز شخصيتها"[3]، فالسياق الذي جاءت فيه الكلمة هو الذي يجعل منها علامة دالة فيتأتى لنا فهمها من خلال السياق الذي جاءت فيه.

كما كان للسياق دور في تشكيل العلامة ومفهومها وكذلك في تحديد الدلالة والمعنى عند البلاغيين وما يستلزمه الاستعمال اللغوي للكلمة، وكمثال على ذلك مسألة الصدق والكذب التي ربطتها بحسب السياق الذي يدل على صدق القضايا والحكم عليها.

كما يحضر السياق ودوره في عملية التأويل عند الأصوليين "إن عنصر القرينة أو السياق أو ما سموه بقرينة السياق يلعب دورا هاما في عملية التأويل"[4]، مما يعني أن الناقدة في معظم القضايا

---

[1] سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد العربي العاصر، ص 41.

[2] ينظر عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، 1998م، ص 9-10.

[3]آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 40.

[4] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق ، ص 202

حاولت ربط السياق ودوره في تشكيل العلامة والدلالة وكذلك دوره في فهم النص لدى المتلقي أو المؤول ليستطيع تأويل الخطاب وفقا للاستعمال اللغوي للعلامة.

المتكلم(المُخاطِب) والمتلقي:

المتكلم: وهو" شخص متكلم، ينتج خبرا كلاميا، يستعمل مصطلح (المخاطب)، للإشارة إلى فاعل الحوار، ويخضع (المخاطب)، لتقليد أدبي، معين، مهما بلغت درجة إبداعه الأدبي"[1] ومعنى ذلك أن المخاطب هو الشخص المسؤول عن فعل الكلام والموجه الأساس له ويخضع فيه لجملة من القواعد اللغوية التي لا مناط من تجاوزها في العملية التواصلية.

والمتلقي: وهو" المتلقي هو الكائن أو الآلة، التي يصدر إليها خبر ما "[2]، أي أنه الشخص الموجه إليه الكلام و المستقبل له وهو عنصر أساس في الخطاب لابد من توفره لتتم العملية التواصلية على أكمل وجه.

وسعت الناقدة نطاق دراسة التراث العربي بانفتاحها على المجال التداولي والتركيز أساسا على المرسل والمتلقي في عملية إنتاج النص باعتبار أنهما عنصران أساسيان في إقامة الخطاب ومعناه، فتقول في ذلك:" إنَّ إمكانية تحقق المعنى ترتبط ارتباطا بالمتكلم والمخاطب فالأول يقوم بالتشفير والثاني مسؤول عن فك ذلك التشفير"[3]، كان مدار الحديث عن دورهما عند الناقدة في إنتاج المعنى وتولد الدلالات من خلال التأويل الذي يقوم به المتلقي يشمل جميع القضايا من نحو وبلاغة وشعرية وأصول، وذلك إن وقفنا عند أي قضية وقبلها القرآن الكريم سنجد حضور المتلقي كفاعل أساسي في الجانب التداولي الذي يركز عليه لأنه المحرك للخطاب فالسيميائيات بمجالها الواسع و ومبحثها التداولي تسعى الى الكشف عن هذه الاستراتيجية وكيف كان ذلك

[1] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص85
[2] المرجع نفسه، ص 200
[3] ينظر: امنة بلعلى، سيمياء الأنساق، ص 91

التفاعل دور هام في تشكلات المعنى، ومنه فالناقدة حاولت في كل محطة ابرازهما والوقوف عند دور كل واحد منهما مما يؤكد لنا تداخلهما في الجهاز الواصف الذي شكل الكتاب.

المحايثة:

المحايثة مصطلح ظهر أساسا في الدراسات اللسانية كمبدأ من مبادئ دراسة النص، وقد اتخذته البنيوية سبيلا لذلك وهو مصطلح يدل على" الاهتمام بالشيء (من حيث هو) ذاته وفي ذاته فالنظرة المحايثة هي النظرة التي تفسر الأشياء في ذاتها ومن حيث هي موضوعات تحكمها قوانين تتبع من دخلها وليس من خارجها"[1]، فالمحايثة تعني بدراسة لذاته ومن أجل ذاته معزولا عن كل الظروف والسياقات الخارجية المحيطة به.

فالمحايثة مصطلح آخر لامسنا وجوده في الكتاب لكن ليس بالاهتداء به في الدراسة لدى الناقدة وإنما على العكس فقد حاولت الابتعاد عنه في الاشتغال على الخطابات التراثية، وهذا ما أكدته في مختلف القضايا التي عرضتها وذلك من خلال تجاوز العلاقات الشكلية التي تنتج الخطاب إلى دراسة مختلف السياقات الاجتماعية والثقافية ومن هنا تؤكد في قولها" الدلالة الاجتماعية والثقافية من حيث هي جزء من هذه الممارسة"[2]، وعلى اعتبار أن دراسة الناقدة دراسة نقدية سيميائية، فإنها لم تلتزم بالنظرة المحايثة للغة في ذاتها ولأجل ذاتها كان لابد لها من الانعزال عن هذا المبدأ والتخلص من عيوبه، فأصبح مصطلح الانفتاح والتجاوز والسياق والمجال التداولي ومراعاة قصد المخاطب والمتلقي والتأويل المبادئ الاساسية التي حلت محل المحايثة في دراسة الخطابات التراثية عندها.

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 134.
[2] آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، ص 51

وفي الأخير يمكن أن نختم فصلنا بالقول أن مدونة الناقدة آمنة بلعلى سيمياء الأنساق على وعي واضح الملامح والأصول بالتراث العربي القديم من جهة ومن جهة أخرى بالفكر الغربي المعاصر، حيث يظهر لنا ذلك جليا من خلال اعتمادها على أشهر وأبرز مناهج الدراسات الأجنبية ألا وهو المنهج السيميائي، وذلك كان بغية مكاشفة ثقافتنا العربية وقراءتها بما هي أهل له برؤية جديدة كليا، تخلصت من خلالها من عيوب الدراسة المحايثة بشروطها وإلزاميتها وما يترتب عنها من نتائج لتخرج بالأدب من دائرته الضيقة التي انحصرت في النقد الأدبي إلى دائرة أوسع وأشمل فتحت من خلالها آفاقا نقدية جديدة قادرة على استقراء منظومة التراث العربي بشكل أشمل وأدق، فقد كانت ممارستها هذه أكثر نضجا سعت من خلالها إلى إعادة تأويل الخطابات التراثية برؤية تشتغل بتوجيه من الفكر السيميائي وبمفاهيم إجرائية خاصة والتي كان من غير الممكن للدراسات المحايثة الإحاطة بها، وقد اعتمدت الناقدة على طريقة التنظير في دراستها وتحليلها لمجمل القضايا النقدية التراثية وهي ممارسة اشتغلت فيها على استنطاق الخطابات ما فوق أدبية أو يمكننا تسميتها بالخطابات الواصفة و كان ذلك بغية البحث في أصول الفكر السيميائي في الموروث الفكري العربي بما اشتمله من نحو وبلاغة ونقد وأصول، ولم يكن ذلك بالأمر اليسير عليها، حيث أنها تعرضت لتلك المعارف ونقحتها وأعادت تأويلها وبحثت عن القوانين الخفية المسيرة لها محاولة منها للكشف عن النسق الأول المسؤول عن توجيه مجمل تلك المعارف وتسيير الدلالة فيها لتعرض للقارئ في الأخير خلاصة قراءتها تلك.

خاتمة

خاتمة:

لقد توصلنا من خلال بحثنا إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

- لقد كانت اللغة الواصفة المنطلق الذي أسَّست من خلاله الناقدة دراستها، والتي كان لابد لها من تبنيها لتولد قراءة جديدة، لتنفض الغبار عن معارف التراث المكررة، وبعث فيها روح جديدة، وتنفتح على قراءة لا سابق لها، لاسيما أنَّ المعارف التي اختارتها الناقدة كان البحث فيها شبه منعدم.

- كما أنَّ طبيعة اللغة النقدية التي تبنتها الناقدة ميزتها عن غيرها من البحوث التي تناولت التراث العربي، لأنَّ الناقدة مزجت في نقدها بين المعارف التراثية والنظريات النقدية المعاصرة، لتتخطى تلك الممارسات إلى ممارسة أكثر خصوبة وشمولا، لذلك نجد آليات المنهج التأويلي، نظرية التلقي، التداولية...وغيرها، حاضرة في الكتاب وهذا بين مدى قدرة الناقدة في الاحاطة بمختلف آليات تحليل الخطاب واستثمارها فيما يخدم منجزها النقدي.

- تميز نقد آمنة بلعلى أنَّها بحثت في الفكر السيميائي داخل القضايا التراثية، فانتقلت من النقد الجزئي إلى النقد الكلي، بفكر سيميائي مكنها من استنطاق وتأويل الخطابات العابرة للأدب، ومن أجل التخلص من المحايثة والتحليل المحايث وعيوبه في الكشف عن المعنى ودراسة النص كبنية مغلقة وعزله عن السياق، انتقلت الناقدة من النقد الأدبي إلى نقد أوسع، نقد متعالي في صيغته السيميائية، أو ما يعرف بنقد النقد لفك أزمة الدراسات النقدية المعاصرة في محاولة للقبض على مختلف آليات النقد المعاصر كسبيل لدراسة التراث العربي والمضمر في ثناياه وأنساقه المختلفة، وذلك رحلة البحث عن كيفية تشكل المعنى في الخطابات التراثية.

- لقد رفضت الناقدة أن تخضع لمجموع القوانين الشكلية الصارمة التي من شأنها أن تحُدَّ من حريتها في الدراسة والتحليل، وبالتالي البقاء ضمن ذلك الحيز المغلق الذي كانت تتكئ عليه الدراسات السابقة في البحث داخل الخطابات التراثية، وارتأت لنفسها منهجا وأسلوب وأدوات وإجراءات مختلفة في كيفية تقصيها للمعنى في كل من (النحو_ البلاغة_ الشعرية_ الأصول).

- لقد استثمرت الناقدة جميع معارفها بالقضايا التراثية فقد كونت خلفية بها حول مفاهيم المعرفة النحوية، كذلك المعرفة البلاغية، فيما يخص العربية وحتى الجديدة، الشعرية والأصول، كما كان لها خلفية معرفية بالمناهج النقدية المعاصرة كونتها من اطلاعها المفاهيم والدراسات الغربية للمناهج المعاصرة وكذلك الدراسات العربية المعاصرة ونخص بالذكر المنهج المسيطر على دراستها في الكتاب "المنهج السيميائي"، وقد وفقت في إخبارها لآلياته لرصد اشتغال العلامة وتشكل الدلالة في الخطابات التراثية، بالإضافة لاستغلالها المجال التداولي كمبحث من مباحث السيميائيات، فقد وسع بدوره أبعاد البحث في الانتقال من البحث في داخل القضايا إلى الخارج، والاهتمام بقصد المتكلم والمتلقي وفهمه للعلامة وتأويلاته والسياق الذي جاء فيه الخطاب ودوره في إنتاج الدلالة.

- اعتمدت آمنة بلعلى على قراءة نسقية واصفة موصولة بالتراث وخصوصيته، وغير مفصولة عن السياق الذي أنتجت فيه تلك المعارف، انطلاقا من كيفية اشتغال العلامة فيها إلى الدلالة كقضية أساسية ومحورية في كل المعارف، ثم الطريقة التي تم تلقي وتأويلها وهذا حسب موضوع الاشتغال عند كل معرفة.

- كان تركيز آمنة بلعلى على النحو والبلاغة والشعرية والأصول، على اعتبار أنها خطابات لم يشتغل عليها البحث السيميائي كما هي عليه الآن، لأن أغلب البحوث في هذه المعارف عبارة عن بحوث شكلية، بنيوية، أو بحث في القواعد والأسس والمفاهيم التي شكلتها أو

لتتبع تطور ظاهرة ما، وما سعت إليه الناقدة هو البحث في سيمياء أنساق كل منها على أن تجعل من هذه المعارف منظومة تراثية كلية وتخرجها من الدراسة الجزئية فكل معرفة مرتبطة بالأخرى، ويحدث هذا تحت ما يسمى نسق.

- لقد كانت فكرة الأنساق الشغل الشاغل الذي أثار فكر الناقدة، والذي جعلها تبحث داخل أنساق المعارف التراثية، لأنه الحل في جمع شمل وشتات القضايا النقدية التراثية، ضمن نظام واحد وفي انتظام تتناغم وتنسجم فيه فيما بينها، لتولد نسقا أعم وأشمل، فنقول أنها وليدة نسق ديني، ثقافي أو اجتماعي ... مع اعتبار للسياق الذي انتجت فيه وذلك حسب الثقافة العربية التي انتجتها.

- بعد تكوين تصور حداثي للقضايا النقدية التراثية، نستطيع الحديث عن جهاز مفاهيمي لمجموعة من المفاهيم شكلت بدورها هذا المنجز النقدي الذي قدمته آمنة بلعلى، لذلك نجد العلامة، الدلالة، التأويل، وهي الثلاث مفاهيم الأولى التي يمكن أن نفتتح بها مضمون الكتاب لأنها ركزت على كيفية اشتغال العلامة في النحو والبلاغة، الشعرية والأصول الدلالة والأبعاد التي أنتجتها نسقية كانت أم سياقية، ثم الحديث عن طريقة تأويلها وذلك حسب طريقة تأويل كل معرفة، ثم الحديث عن مصطلح النسق كمفهوم أساسي في البحث وما السبب في تركيزها عليه، لنصل لنتيجة أنَّ النسق هو الذي يؤدي إلى توازن هذه القضايا بالرغم من البعد الزماني بينها وبين التصور السيميائي الذي اشتغلت به الناقدة لبعث هذه المعارف في صورها الجديدة والكشف عن مسار تولد المعنى فيها والتفكير السيميائي الذي اجتاح مختلف معارف تراثنا العربي.

- كما أنَّ للسياق ودوره في تشكل المعنى حديث آخر عن طبيعة الثقافة والمجتمع العربي التي نشأت فيه القضايا التراثية، فقد اهتمت آمنة بلعلى بسياق التلفظ والعوامل المؤثرة في إنتاج المعرفة وموضع استعمال وإنتاج العلامة وكذلك تأويلها.

- وقد للمخاطب والمتلقي باعتبارهما عنصرين من عناصر العملية الاتصالية دور فعال في عملية فهم وتأويل العلامات، وضحته الناقدة من خلال إشارتها في مختلف القضايا إلى مراعاة قصد المخاطب، ودور المتلقي في تأويل الرسالة حسب توجه كل معرفة وهنا أيضا يبرز البعد التداولي للقضايا التراثية وقد كان هذا سعي السيميائيات في تحقيقه اليوم في حين أن هذا البعد الذي كشفت عنه الناقدة كان متجذر في تراثنا العربي منذ القدم.
- إن اللغة الواصفة في نقد آمنة بلعلى تمظهرت من خلال نجاعتها في الغوص داخل أنساق الخطابات التراثية، فتحركت لغتها بطبيعة الخطاب المنقود، لأنها بقدر ما ركزت على لغتها وأسلوبها في النقد، فهي أيضا قد ركزت على اللغة الإبداعية في تلك المعارف، لذلك نجد لغتها النقدية تجاوزت المستوى العادي في التحليل إلى مستوى أعلى بكثير أتاح لها ذلك تجديد وإحياء تراثنا العربي بنظرة حداثية خالصة.
- فمن الانصاف أن نقول أن لغة آمنة بلعلى قد حققت التوازن بين ما هو حداثي أي المناهج النقدية المعاصرة بنظرياتها الغربية والعربية، وبين ما هو تراثي وهي القضايا النقدية العربية التراثية، دون أن تغلب أحدهما على الآخر، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا الجانب الذي بين حريتها وعدم تقيدها في عملية النقد التي قامت بها في كتابها.

قائمة المصادر والمراجع

.القرآن الكريم

أولا: المصادر

1. آمنة بلعلى: سيمياء الأنساق، تشكلات المعنى في الخطابات التراثية، دار النهضة العربية (د. ط)، بيروت، 2013م.

ثانيا: المراجع

1. إبراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث، من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، عمان، 2003م.
2. أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعية، (د. ط) الإسكندرية، 1996م.
3. أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، الدار العربية للعلوم بيروت، ط1، 2005م.
4. أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2005م.
5. إديت كريزويل: عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، الكويت 1993.
6. أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط1 2009م.
7. آمنة بلعلى: الحركية التواصلية في الخطاب الصوفي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، (د. ط)، دمشق، 2001م.
8. آمنة بلعلى: تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج المعاصرة، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ،ط3، مدوحة تيزي وزو، 2009م.
9. آمنة بلعلى: خطاب الأنساق، الشعر العربي في مطلع الألفية الثالثة، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2014م.
10. آمنة بلعلى، عبد الله العشي: فقه الشعر، من سؤال الشكل إلى أسئلة المعنى، دار ميم للنشر ،(د. ط)، الجزائر، 2019م.

11. بول ريكور: صراع التأويلات، تر: منذر العياشي، دار الكتاب الجديدة المتحدة ط1، إفرنجي، 2005م.
12. بيير جيرو: علم الدلالة، تر: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة، ط1 سوريا، 1988م.
13. تزفيطان طودوروف: الشعرية، تر: شكري المبخوث، رجاء بن سلامة، دار توباق للنشر، ط2، المغرب، 1990م.
14. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، (د, ط)، المغرب، 1994م.
15. توفيق الزيدي: مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون، ط2، الدار البيضاء، 1987م.
16. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1992م.
17. جابر عصفور: قراءة التراث النقدي، عين للدراسات والبحوث، ط1، القاهرة 1994م.
18. جابر عصفور: نظريات معاصرة، دار الهدى، ط1، بيروت، 1998م.
19. ابن جني: الخصائص: تح: محمد علي النجار، ج1، دار الهدى، ط2، بيروت (د.ت)
20. جورج يول: التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،بيروت 2010م.
21. حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1981م.
22. حسن ناظم: مفاهيم الشعرية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1994م.
23. حسينة فلاح: الخطاب الواصف في ثلاثية أحلام مستغانمي (ذاكرة الجسد- فوضى الحواس- عابر سرير)، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل،(د. ط)، تيزي وزو 2012م.

24. حمو الحاج ذهبية: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، (د. ط)، تيزي وزو، 2012 م.
25. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم بيت الحكمة، ط1، 2009.
26. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (د. ط)، (د.ت).
27. روبرت هولب: نظرية التلقي مقدمة نقدية، تر: عز الدين اسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط1، القاهرة، 2000م.
28. زكي نجيب محمود :موقف من الميتا فيزيقيا، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1983.
29. صحراوي مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة،(د. ط)، بيروت، 2010م
30. صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريث للنشر، ط1، القاهرة، 2002.
31. عبد الرحمان الحاج صالح: البنى النحوية العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، (د. ط)، الجزائر، 2016م.
32. عبد الرحمان الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، (د. ط) الجزائر، 2012.
33. عبد الله إبراهيم: المتخيل السردي، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1990م.
34. عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، مصر، 1998م.
35. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، (د. ط)، الكويت، 1990.
36. عثمان موافي: دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الإسكندرية، (د. ط)، مصر 2000م،
37. علي إبراهيم النملة: إشكالية المصطلح في الفكر العربي، الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2010.
38. كمال أبو ديب: في الشعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، 1987.

39. ماري نوال غاري بريور: المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، سيدي بلعباس، الجزائر، ط1، 2007.

40. محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، (د. ط)، المغرب 1999م.

41. محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات.. ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1991م

42. محمد مشبال: البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، أفريقيا الشرق، (د. ط)، المغرب، 2007م.

43. محمد مفتاح: التشابه والاختلاف، نحو مناهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، (د. ط)، الاسكندرية، 1995.

44. محمد ناصر العجيمي: في الخطاب السردي، نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب (د, ط)، تونس، 1991.

45. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة ، (د.ط)، بيروت، 2005م.

46. مصطفى غلفان: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت–لبنان ، 2013م.

47. نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م.

48. نعمان عبد الحميد بوقرة، الخطاب والنظرية والإجراء، دار جامعة الملك سعود، (د. ط)، (د.ت).

49. يان منفريد: علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، دار نينوى، ط1 دمشق.

50. يمنى العيد: في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، (د. ط)، بيروت، 1985.

51. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008.

52. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة ابداع الثقافية، (د. ط)، 2002م.
53. يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، مفاهيمها وأسسها، تاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور، ط1، الجزائر، 2007.

ثالثا: المعاجم والقواميس

1. فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2010م.
2. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان ط1، 1985.
3. رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي_ إنجليزي _ فرنسي، دار الحكمة، (د. ط)، الجزائر، 2000.
4. سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد العربي العاصر، دار الأفق العربية، ط1 القاهرة، 2001م.

رابعا: الرسائل والأطاريح الجامعية

1. ابن مسعود محمد العربي: اللغة الواصفة في التراث العربي الإسلامي دراسة سيميائية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة والأدب، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة وهران (ألسانيا)، 2012م _2013م.
2. علي محمد ياسين: خطاب نقد الشعر عند حاتم الصكر، (دراسة في المرجعيات والمفاهيم والإجراءات)، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2013م.

رابعا: الدوريات والمجلات

1. آسيا جريوي: "النظرية السيميائية عند "غريماس" بين أزمة المصطلح وإشكالية الترجمة" مجلة المخبر أبحاث في اللغة العربية والأدب الجزائري، مجلد 15، ع1، جامعة محمد خيضر بسكرة 2019.

2. آمنة بلعلى: "**المداخل المفاتيح لسيميائية الأهواء**"، مجلة بحوث سيميائية"، مجلد 6، ع 9 تيزي وزو، 2016م.

3. بن مسعود محمد العربي: "**سميائية خاصية الدور صناعة اللغة الواصفة عند الفرابي**" المجلد 16، ع 02، جامعة زيان عاشور، 2020م.

4. خالد محمد حمدي صميدة: "التراث **الإسلامي (– مفهومه – خصائصه– الاختلاف المنهجي في قراءته)**"، مجلة كلية أصول الدين، ع40، جامعة الأزهر، مصر، (د.ت).

5. فيصل مفتن كاظم: "**التداولية في النحو العربي**، مجلة أبحاث ميسان"، مجلد 02، ع4، جامعة البصرة، 2006

6. رزيق بوزغاية: "**مشكلة الخطاب الأدبي في البحثين الأدبي والنقدي**": رؤية نقدية، مجلة أبوليس، المجلد06، ع01، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة التبسي، تبسة–الجزائر 2019م.

7. عبد الجليل غزالة: "**اللغة الواصفة دراسة لسانية للخطاب القائم حول اللغة – جوزيف غاي دو بوف –**"، مجلة الموقف الأدبي، ع 386، اتحاد الكتاب العرب بسورية، حزيران 2000م.

8. يوسف مقران: "**تبني تعليمية اللغات لنظرية التبليغ المحتكة بالمقاربة اللفظية والمقاربة المفهومية**"، مقال في مجلة حوليات، الجزء2، ع16، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر 2006

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوعات	رقم الصفحة
مقدمة...	أ_ و
مدخل...	**08**
1_اللغة الواصفة: إشكالية المصطلح والمفهوم في الثقافة الغربية والعربية...........	09
1_1 دراسة في المصطلح و إشكالية الترجمة.......................................	09
1_2 جذور اللغة الواصفة في الساحة الغربية والعربية...............................	11
2_ وظيفة اللغة الواصفة...	19
الفصل الأول: الفصل الأول: الخلفيات الابستيمولوجية للممارسة النقدية لدى آمنة بلعلى	**23**
المبحث 01: المعرفة التراثية لدى الناقدة..	24
المبحث 02: المعرفة بالمناهج النقدية المعاصرة لدى الناقدة...........................	38
الفصل الثاني: التصور الحداثي للقضايا النقدية لدى آمنة بلعلى	**58**
المبحث 01: التصور السيميائي للقضايا التراثية (النحو- البلاغة- الشعرية- الأصول)......	60
المبحث 02: تشكلات الجهاز المفاهيمي في نقد آمنة بلعلى.............................	83
خاتمة	**97**
قائمة المصادر والمراجع..	**102**

ملخص الدراسة:

يدور موضوع البحث حول: اللغة الواصفة في نقد آمنة بلعلى من خلال كتاب "سيمياء الأنساق: تشكلات المعنى في الخطابات التراثية"، لما لهذه اللغة من قدرة في استنطاق النصوص واستخراج أنساقها، فكانت هي اللغة النقدية التي من خلالها قامت الناقدة بمقاربة وتفكيك الخطابات التراثية في الكتاب، لذلك تميزت كتاباتها عن غيرها، لتفرض ذاتها على الساحة النقدية العربية بهذه الحمولة النقدية المكثفة.

جاءت هذه الدراسة للبحث عن سيمات اللغة الواصفة في نقد آمنة من خلال كتابها "سيمياء الأنساق"، ونكشف كذلك عن نجاعة المنهج السيميائي في تفكيك المنظومة التراثية، وحسن استثمار الناقدة لآليات النقد المعاصر للكشف عن المعنى في الخطابات التراثية، ولتنظيم المعارف التراثية من نحو، بلاغة، شعرية، أصول، سيميائيا في نسق واحد، لذلك جاء بحثها معنونا بسيمياء الأنساق.

الكلمات المفتاحية: اللغة الواصفة، السيميائيات، الأنساق، آمنة بلعلى.

Le sujet de la recherche porte sur le langage descriptif dans la critique d' Amina Belaala à travers le livre "Sémiotique des Structures : Formations de sens dans les discours patrimoniaux". Ce langage possède une capacité à interroger les textes et à extraire leurs structures, ce qui en fait le langage critique par lequel la critique approche et déconstruit les discours patrimoniaux dans le livre. Ainsi, ses écrits se distinguent des autres, imposant leur présence sur la scène critique arabe avec une charge critique intense.

Cette étude vise à examiner les traits du langage descriptif dans la critique d'Amna à travers son livre "Sémiotique des Structures". Elle révèle également l'efficacité de l'approche sémiotique dans la déconstruction du système patrimonial et l'utilisation judicieuse de l'analyse critique contemporaine pour dévoiler le sens dans les discours patrimoniaux et organiser les connaissances patrimoniales, qu'elles soient linguistiques, rhétoriques, poétiques, fondamentales ou sémiotiques, dans une

structure unifiée. C'est pourquoi sa recherche est intitulée "Sémiotique des Structures".

Mots-clés : langage descriptif, sémiotique, structures, Amina Belaala.